الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

آليات الحجاج في تفسير القرآن عند الطاهر بن عاشور
سورة التوبة أ نموذجا "دراسة تحليلية "

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

من إعداد الطالبتين :
- ✓ رضوان بدرة
- ✓ وارث وداد

تحت إشراف الأستاذ: حسين عبد الكريم

السنة الجامعية :2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله أولا، وقبل كلّ شيء، نحمده أن هدانا إلى طريق المعرفة والعلم، ويسر لنا إنجاز هذا العمل، وأحاطنا برعايته وعنايته.

فإننا نتقدّم بالشكر والامتنان بعد الله للأستاذ المشرف **حسين عبد الكريم** حفظه الله تعالى، الذي ألزمنا فضله ما حيينا، فكم أفادنا بإرشاداته، وإضافته المهمة، وآرائه القيّمة، وأفكاره النّيرة، فقد بلغ وأدّى ونصح فأوفى، فله جزيل الشّكر والعرفان، وإنّنا لندعو الله أن يجزيه عنّا خير الجزاء.

ثم نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى كلّ من ساعدنا من قريب أو بعيد، دون أن ننسى أساتذتنا الكرام الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدّراسي فلهم منّا فائق التقدير والاحترام.

كما لا يفوتنا أن ننوّه بقسم اللّغة العربية والأدب العربي بوجه أخصّ، على حسن تعاملهم وجهودهم الحثيثة لخدمة المعرفة، فألف شكر لكم.

والشكر الجزيل لكلّ من شجّعنا ولو بالكلمة وصالح الدعاء.

إهداء

أحمد الله تعالى الذي أن وفّقني لإتمام هذا العمل، وأتشرف بإهداء هذا البحث والعمل المتواضع إلى التي لم تدخّر جهدا في سبيل إسعادي على الدوام"أمي الحبيبة"

وإلى صاحب الوجه الطيب والأفعال الحسنة، الذي لم يبخل عليّ طيلة حياته "والدي العزيز" حفظهما الله تعالى وجزاهما كل الخير

إلى إخوتي وأخواتي الذين كان لهم بالغ الأثر في تذليل كثير من العقبات والصعاب

وإلى كل صغار العائلة "سوار، صهيب، قمر"

إلى خطيبي الذي ساعدني كثيرا ولم يبخل عليّ بشيء

كما أشكر زميلتي وداد التي كانت نعم الصديقة، والتي كانت عونا لي في إتمام هذا البحث

كما أشكر أستاذي المشرف الأستاذ **"حسين عبد الكريم"** الذي وقف معنا طيلة بدايتنا في هذا البحث والذي ساعدنا كثيرا بنصائحه القيمة حفظه الله تعالى

كما أشكر جميع أصدقائي الذين رافقوني أثناء مشواري الدّراسي، وجميع الذين وقفوا بجانبي، وساعدوني بكل ما يملكون:" نجاة، أمال، فضيلة، مسعودة، سارة"

إلى جميع أساتذتي الكرام الذين لم يتوانوا في إمدادنا بالمساعدة

وإلى كل من لم يبخل عليّ ولو بالدعاء والكلمة الطيبة

بدرة

إهداء

أهدي تخرّجي هذا إلى التي وضعتني على طريق الحياة، وجعلتني رابطة الجأش، ورعتني حتى صرت كبيرة، وإلى معنى الحب والحنان والتّفاني، وإلى بسمة الحياة وسر الوجود، وإلى من كان دعائها سرّ نجاحي "أمي" أطال الله عمرها

إلى صاحب السّيرة العطرة، والفكر المستنير، فقد كان له كل الفضل في بلوغي التّعليم العالي، إذ لم يبخل عليّ طيلة حياته بشيء، ولم يتهاون يوما في توفير سبيل الخير والسعادة لي، "والدي العزيز"

إلى جميع أساتذتي الكرام الذّين لم يبخلوا عليّ بالتّوجيه والإرشاد

إلى من عرفت معهم معنى الحياة "إخوتي وأخواتي"، الذين كان لهم بالغ الأثر في تذليل كثير من العقبات والصّعاب التي واجهتني

إلى زميلتي التي أعانتني في هذا العمل الجليل **"رضوان بدرة"** أسأل الله أن يوفقها إلى ما فيه صلاح أمرها، ونفع أمّتها

إلى أستاذي "حسين عبد الكريم" الذي منح لي يد العون خلال هذه الفترة وساندني في إتمام بحثي

وداد

مقدمة

مقدمة:

يُعرَّف الحجاج بأنه عبارة عن أدلة وحجج ومقاييس جدليّة ورياضيّة ومنطقية وعقلية، يتسلح بها المحاجج لمواجهة الخصم أو الغير قصد إقحامه، أو التّأثير فيه، أو إقناعه، أو دفعه إلى الاقتناع بوجهة نظره. فقد أضحى في العقود الأخيرة مثار اهتمام الدّارسين حيث ظهر ذلك في المصنفات والأبحاث الكثيرة التي كان مدارها على إنفاذ النّظر ومعاودته فيه، إذ لم تكن جهود النُّظار مقصورة على مجال واحد، بل شملت مجالات متعددة. ذلك أنّ الحجاج جزء من معيش الإنسان المعاصر حتى أوشك أن يشمل جميع أنماط الخطاب التي تتجلّى بأشكال مختلفة فيه. حيث تُقدّمُ لنا مختلف أشكال التّواصل في الفضاء اليومي والعائلي والسّياسي والدّيني والتّجاري كمّا هائلا من ضروب الحجاج البلاغي، فانغرس الحجاج في أعقاب ذلك في صلب كلّ الممارسات الخطابيّة.

فالحجاج هو الآلية التي تتجسد عبرها استراتيجية الإقناع، حيث أنّ نقل المعلومات وتبادل الآراء والأفكار بين المرسل والمتلقي، يتضمن القصد والنّية في مضمون الرّسالة لإحداث الإقناع بأسلوب المحاججة.

فقد كثر الحديث عن الحجاج وعن نجاعته في مقاربة مختلف الخطابات العلميّة والإنسانيّة والثّقافية، كما تناولته بالتّحليل والدّرس ومعالجة الدّراسات وأبحاث وكتب ومقالات يشُقُ حصرها، إذ أصبح في أعقاب ذلك موضوعا لافتا للانتباه بسبب حضوره الكلي أو الجزئي في مجموعة من الخطابات، سواء كانت فلسفية أو قضائيّة أم أدبيّة وغيرها، ودلالة ذلك أنّ عصرنا هو عصر الحجاج والجدال والإقناع والتّأثير والحوار لاسيما مع تطور الحاصل في وسائل الإعلام.

فالحجاج اليوم من أهم النّظريات التي تهتم بها التّداولية، إذ يُركّزُ أساسا على دراسة الطّريقة والأسلوب اللّذين يتبنّاهما المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله إليه، كالإشارات والعبارات والحجج، فلا يمكن لأيّ مخاطب سواء أكان شاعرا أم ناثراً يستغني عن هذا الأسلوب الذي يستهدف استهواء المتلقي واستمالته، وهذا الأمر لا يكمن فقط في المجال الأدبي، إنّما نجده أيضا في حياتنا اليومية التي تبنى كليّا على الأدلة والحجج أثناء التواصل.

فالنّص القرآني نص حجاجي، كونه جاء لينظّم حياة النّاس وتربيتهم وتثبيت أركان عقيدتهم، وإقناعهم بأحكام دينهم، وتوجيههم للالتزام بها عن طريق الحجّة والإقناع، فالقرآن الكريم أوسع كتاب على الأرض لأنّه يحتوي على أشمل وأكمل وأوسع خطاب، لأنّه رسالة الله إلى العالمين كافة في كلّ زمان ومكان، فقد كان ذلك الخطاب القرآني خطابا عاما في أوسع معنى للعموم والشّمول، فهو حطاب الله تعالى إلى الوجود كلّه.

وقد اتّخذ الخطاب القرآني من أساليب الحجاج والاستدلال والجدال الإقناع ما هو جدير بكتابٍ أنزله ربّ العالمين وخالقهم، فجاءت تلك الأساليب شاملة متنوعة، فلم تغادر صغيرة ولا كبيرة من أساليب الحجاج الحق والإقناع الحسن إلاّ أحصاها واستخدمها، فالخطاب القرآني كان دافعا إلى التّفكير الرّصين والتّأمل بالعقل الذي ميّز الله به الإنسان على سائر المخلوقات فيسلك أفضل السّبل التي تهديه إلى الإيمان والإصلاح والتّقوى، وهنا كان السّر في الحطاب الحجاجي القرآني، إنّه تنوير للعقول وهدم كلّ ما يحجب الحقيقة عنها من أوهام باطلة وخرافات واهية.

من أسباب اختيارنا هذا الموضوع ما يلي :

-حب اللّغة العربيّة التي شرفها الله تعالى بأن جعلها وعاء لكتابه المجيد.

-الوقوف على حجاجيّة النّص القرآني بما قدّمه من صور وأساليب يُتيح للعقول السّموّ بالأفكار إلى إدراك قداسة الرّسالة النّبيلة للقرآن.

- قلّة الدّراسات التي تناولت موضوع الحجاج وآلياته، ولاسيما في دراسة النص القرآني.

-الرغبة في استكشاف خبايا سورة التوبة.

-ميلنا إلى الدّراسات الحجاجية.

وأهميّة هذا الموضوع تتمثل في كونه موضوعا حديثا، له جذور تأصيلية قديمة، وللحجاج أهمية بالغة نظرا لما يحدثه من أثر في المتلقي وتوجيه تفكيره وتغيير سلوكاته.

وقد حاولنا من خلال هذا البحث الإجابة عن مجموعة التساؤلات أهمها:

-ما مفهوم الحجاج؟

-ما هي أصناف الحجاج وأنواعه؟

-ما هي آليات الحجاج؟

-ما هي أهم الآليات الحجاجيّة الموظّفة في سورة التوبة؟ وما قيمتها المعرفية والتواصلية؟

وهذا البحث يتضمّن مقدمة، وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول: عنوانه الحجاج ماهيته وأنواعه، وقسّم إلى مبحثين:

المبحث الأول: تحدثنا فيه عن المعنى اللّغوي والاصطلاحي للحجاج، وتحدثنا عن الحجاج في الدّراسات القديمة والحجاج ف الدّراسات الحديثة.

المبحث الثاني: تحدثنا فيه عن أصناف الحجاج وآلياته.

الفصل الثاني: الحجاج في تفسير ابن عاشور لسورة التوبة وهذا الفصل تطبيقي، وقسّم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحدثنا فيه عن شخصية ابن عاشور ومنهجه في التّفسير.

المبحث الثاني: تحدثنا فيه عن سورة التوبة وتفسير ابن عاشور.

المبحث الثالث: تحدثنا فيه عن آليات الحجاج في تفسير السورة.

وفي الأخير خاتمة البحث التي قدمنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج بشقيه النّظري والتّطبيقي.

فهرس الموضوعات: حيث رتبنا فيه عناصر البحث وموضوعاته وحددنا صفحات كل منها.

وفي بحثنا هذا اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمّها:

مختار الصّحاح لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي والتعريفات للشريف الجرجاني، والتّفاسير: كصفوة التفاسير لمحمد علي الصّابوني، والتحرير والتّنوير لمحمد الطّاهر بن عاشور، تفسير النابلسي لمحمد راتب النابلسي، منهج ابن عاشور في تّفسير"التحرير والتّنوير" لأحمد صقر.

ومن الصّعوبات التي واجهتنا خلال إنجاز هذا البحث نذكر ما يلي:

- ضيق الوقت.

-صعوبة فهم أسلوب الطاهر بن عاشور في بعض جوانبه. لغزارة علمه وعمق تفكيره.

-قلة المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع، وإن وجدت فهي صعبة الطّرح وفيها اختلاف من دارس إلى آخر.

وأخيرا – ونحن ننهي عملنا المتواضع هذا– فإنّ الفضل لأصله عائد والشّكر لأهله واجب، نعترف بأنّنا ما كان فيه من محاسن فالفضل لله سبحانه وتعالى الموفّق أولا، ثم إلى الأستاذ حسين عبد الكريم، إذ تكرّم بالإشراف على المذكرة وتعهدها برعايته الطيّبة وتوجيهاته السديدة. كما نتقدّم بخالص الشّكر والعرفان إلى كلّ من ساعدنا فيه ما كُنّا نصبوا إليه، ونتمنى أن يكون فيه بعض النّفع والإفادة للقُرّاء والطلبة عموما، وندعو الله العليّ القدير أن ينفعنا بتوجيهات أساتذتي الكرام الذّين شرّفونا بقبول مناقشة مذكرتنا وتصويب فكرتها، وتصحيح خطئها، فللجميع منّا الشّكر والتّقدير، ومن الله السّداد والتّوفيق.

وما توفيقنا إلاّ بالله عليه توكلنا وإليه ننيب، والحمد لله من قبل ومن بعد.

الفصل الأول: الحجاج ماهيته وأنواعه

المبحث الأول:ماهية الحجاج و أنواعه

تعريفات

لمحة تاريخية عن الحجاج قديما وحديثا

1- الحجاج في الدراسات القديمة

1-1- في الدراسات اليونانية

1-2- في الدراسات العربية

1- في الدراسات الحديثة

2-1-الحجاج في الدراسات الغربية

2-2-في الدراسات العربية

المبحث الثاني :أصناف الحجاج وآلياته

1-أصناف الحجاج

2-أنواع الحجة

3-آليات الحجاج

المبحث الأول:
ماهية الحجاج وأنواعه :

يعتبر الحجاج أحد مباحث التحليل التداولي في الدرس اللغوي الحديث، و يستخدم كغاية للإقناع، ويحدث هذا في نقل الأخبار وتبادل الآراء بين المتخاطبين،وقد تناولت دراسات كثيرة قضية الحجاج قديما وحديثا نظرا لأهميتها في حياة الأفراد،كما اهتم الدارسون بتعريف مصطلح الحجاج لغة واصطلاحا.

لغة :ورد في المعاجم العربية ما يلي :

(ح ج ج) –(الحج)في الأصل القصد وفي العرف قصد مكة للنسك وبابه رد فهو(حاج)وجمعه(حج)بالضم كبازل[1]وبزل[2]و(الحج)بالكسر،الاسم و(الحجة)بالكسر أيضا المرة الواحدة وهي من الشواذ لأن القياس الفتح،و الحجة بالكسر أيضا السنة،والجمع(الحجج)بوزن العنب، و(ذو الحجة)بالكسر شهر الحج وجمعه ذوات الحجة ولم يقولوا ذوو على واحده، و(الحَجيجُ)الحُجّاجُ جمع حاجّ مثل غاز وغزي وعاد وعديّ من العدو بالقدم وامرأة(حاجةٌ)و نسوة(جواجٌ)بيت الله بالإضافةإن كنّا قد حججت وإن يكنّ قد حججْن قلت حواجّ بيت الله بنصب البيت لأنّك تزيد التنوين في حواجّ إلا أنّه لا ينصرف كما تقول هذا ضاربُ زيد أمس وضاربٌ زيدا غدا فتدلَ بحذف التنوين من ضارب على أنّه قد ضربه وبإثباته على أنّه لم يضربه[3].

و(الحُجّة)البرهان و(حاجّهُ فحجّهُ)من باب أي رد أي غلبه بالحُجّة. و في المثل :لجّ فحجّ فهو رجل(محجاجٌ)بالكسر أي جدلٌ و(التّحاجُّ)التّخاصم والمحجّةُ)بفتحتين جادة الطريق[4].

---

[1]البازل :فاو– :ما نبت نابه من الإبل للذكر والأنثى .

–الرجل الكامل في تجربته،رماهم بأشهب بازل_بأمر صعب شديد_المعجم العربي الحديث لاروس،ص211.

[2]البزل :تصفية الشراب ونحوه ;قال أبو منصور :لا أعرف البزل بمعنى التصفية .

[3]–محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر العربي، بيروت، 1997، ط1، ص60.

[4]المصدر نفسه، ص60.

الحُجّةُ :ما دّل على صحة الدّعوى، و قيل :الحجة والدليل واحد[1].

وردت كلمة الحجاج في معجم لسان العرب لابن منظور في جذر حجج، «يقال :حاججته أحاجُّهُ حجاجا ومحاجة حتى حججتُه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها»[2]هذا القول يدّل على تقديم المتكلم أدلة وبراهين قوية لتأكيد صحّة كلامه.

والحجّةُ :هو«البرهان، و قيل :الحُجّةُ ما دُوفع به الخصم، و قال الأزهري :الحُجّة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة. وهو رجل محجاجٌ أي جدلٌ، و التّحاجُ :التّخاصم، و جمع الحجّة:حُججٌ وحجاجٌ، و حاجّة مَحاجّة وحجاجا:نازعه الحُجّةُ-وحجّهُ يحُجُه حجّا:غلبه على حُجّته[3]» ومعنى هذا أنّ المحاجج يجدل الطّرف الثّاني بخطابه وذلك بتقديمه حجج وأدلة ليبرهن على صحة كلامه.

كما وردت كلمة الحجاج في القرآن الكريم في العديد من الآيات ونذكر بعضا منها:

1-قال تعالى:﴿و حاجّهُ قومُهُ قال أَتُحاجّونّي في الله وقد هدان ولا أخافُ ما تُشركونَ به إلاّ أن يّشاء ربّي شيئا وسعَ ربّي كلّ شيء علما أفلا تتذكّرُونَ﴾(الأنعام:80).

2-قال تعالى:﴿وإذا لقُوا الّذين آمنُوا قالوا آمنّا وإذا خلاَ بعضُهم بما فتح اللهُ عليكُم ليُحاجوكُم به عند الله ربّكُمُ أفلا تعقلون﴾(البقرة:76).

3-قال تعالى:﴿فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك منَ العلم فقُل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءَكم ونساءكم وأنفُسنا وأنفسكم ثُمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾(آل عمران:61)

من خلال التعريفات السّابقة يتضح لنا أنّ لفظة(الحجاج) تحمل في القواميس اللّغوية العربية المعاني التّالية:الجدل، الأدلة، الخصومة، الدّليل والبرهان.

---

[1]-الشريف الجرجاني، التّعريفات، 740-816هـ، مكتبة القرآن، ص87

[2]ابن منظور، لسان العرب، ط1، مجلد2، دار صابر، بيروت-لبنان، مادة(ح ج ج)، 1993، ص228.

[3]المصدر نفسه، ص228.

و الحجاج ورد أيضا في معجم أساس البلاغة للزمخشري المتوفي(538هـ)، في قوله:«إحتج على خصمه بحجة شهباء، و بحجج شهب، و حاج خصمه فحجه[1]»إذن تدل كلمة الحجاج على صحة الكلام وذلك بإعطاء دليل ينفي فكرة خصمه.

و قد حصر ابن فارس مادة(حجج)في أربعة معان كبرى، قال:"الحاء والجيم أصول أربعة:

***الأصل الأول**:و كلّ قصد حج. . . ثم اختص بهذا الإسم إلى البيت الحرام للنّسك. قال:ومن الباب:المحجّة، وهي جادة الطريق. . . و ممكن أن تكون الحجّة مشتقة من هذا، لأنها تقصد، أو بها يقصد الحقّ المطلوب، يُقال:حاججتُ فلانا فحججتهُ أي غلبته بالحجة، و ذلك الظّفر يكون عند الخصومة، ة الجمع حُججُ،المصدر الحجاج[2].

***الأصل الثاني**:الحجّة وهي السنّة، و يمكن أن يعود إلى الأصل الأول، لأنّ الحجّ في السّنة لا يكون إلاّ مرة واحدة، فكأن العام سُمي بما فيه من الحجّ حجّة.

***الأصل الثالث**:«الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين». [3]والحجاج هنا يدل على الإحاطة والصلابة.

***الأصل الرابع**: الحَجحَجَةُ:النُّكوص، التوقف والإرتداع، وبدل عليها لفظ" الحَجحَجَةُ" حيث يُقال: حَجحَجَ عن الشيء أي كف عنه. [4]

و إذا قارنا دلالة الحجاج في اللّغة العربيّة بدلالتها في لغة أجنبية كالفرنسية فإن معنى Argumentation تقابل معنى الحجاج، ولا تختلف من حيث الجوهر عن معناها في اللّغة العربيّة،

[1] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحد الزّمخشري، أساس البلاغة، ط1، ج1، دار العلمية، بيروت-لبنان، 1998، ص169.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صابر، بيروت-لبنان، دط، 1992م، مادة(حجج)، ص570.

[3]ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، دط2، ص30.

[4] المصدر نفسه، ص30.

إذ إنّ لفظة Argument تحيلنا في القاموس"روبير" إلى معنى الإعتراض أو طرح موقف مصاحب بحجج تُؤيد وجهة النّظر[1].

أما في الإنجليزية فيشير لفظArgue«»إلى وُجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل طرف إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب والعلل"Raisons" التي تكون الحجّة"Argument" مع أو ضد فكرة أو سلوك ما[2].

و من خلال هذه المصطلحات نجد أنّ لفظ الحجاج يتضمن دلالة ومعنى مستمدين من طبيعة سياقه أو شرطه التّخاطبي الذي يتمثل في التّنازع، و التفاهم، و الجدل.

تعريفات:

تعددت تعاريف الحجاج من حقل معرفي لآخر، فهو يمثل تلك الخطوات التي يحاول بها الشّخص أو الجماعة أن تقود المستمع إلى تبني موقف معيّن، و ذلك باعتماد على تمثيلات ذهنيّة مجردة، أو حسيّة ملموسة، أو على قضايا صارمة تهدف في الأساس إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيته.

حدّد لالاند(Lalande)التّعريف المفهومي للحجاج في قاموسه الفلسفي بهذا التّحديد:"المحاجّة أو الحجاج، و مفاده أنّ المحاجَّة هي مسار من الحجج تنتزع كلّها إلى النّتيجة ذاتها أو طريقة في عرض الحجج وترتيبها[3].

في مقابل ذلك عرّفه طه عبد الرّحمن حديثا على أنّه:«كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها[1]».

[1] حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، ص35.

[2] المرجع نفسه، ص35.

[3] أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر:أ حمد خليل مجلد1.

إذ لم يحمل هذا التّعريف الأخير جديدا أو اختلافا عمّا جاء به القدامى، ولكن صاحبه اجتهد في سبيل توسيع المفهوم وتدقيقه ليتجاوز دائل الجدل والخصومة، و بغية تحصيل ذلك، فقد بلوره في هذا التّحديد الدّقيق الموجز في قوله:«لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدعي ولا مُخَاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض[2]».

بناءً على هذين المفهومين، يغدو الحجاج آلية خطابيّة من آليات الإقناع، تتميّز بقيامها على تسخير اللّغة قصد الإقناع حين تستهدف العقل والعاطفة بُغية إحراز التأثير، ثم الدفع بالمتلقي إلى تبنّي الفكرة أو تغيير سلوكه.

لعلّ أهم شيء تقوم عليه المكونات التّصورية لمفهوم"**الحجاج**"هو حصول خلاف بين المرسل للرسالة اللّغوية(العرض)، و المتلقي لها(المعروض عليه)، الذي يُعد من قوادح(Déclencheur)فعل المحاجّة، حيث يسعى الأول إقناع الثّاني بوجهة نظره، بتقديم الحجّة ونصب الأدلة على ذلك. فالحجاج هو سلوك مسلك معيّن في الاتصال، غايته استمالة عقول المعروض عليهم قصد التّأثير فيها وحيازة إقناعهم وتوجيههم بمقصد معيّن لأنّ النّفوس بعبارة السّيوطي أبعث على قبول الأحكام المعللة.

و عرّفه " أبو الوليد الباجي":«و معرفة هذا العلم من أرفع العلوم قدرا، و أعظمها شأنا، لأنّه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة، ولا عُلم الصّحيح من المستقيم، ولا المعوج من المستقيم[3]».

---

[1] طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثّقافي العربي، بيروت، الدّار البيضاء، 1998, ص226.

[2] طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص213.

[3] أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ت ح:عبد المجيد التركي، ط2، دار المغرب الإسلامي، 1987م، ص08.

إذن، فالحجاج"عند أبو الوليد الباجي" هو مرافق للجدل فلولاه لما قامت الحجة، ولا اتّضحت المحجة. فالحجاج من العلوم التي تتوفر على أركان، و ركائز، و طرائق ووجوه لمفهومه.

و يرى عبد الله صولة أنّ مفهوم الحجاج مُلتو صعب تحديده بدقة، وهذا راجع إلى تشعّب مجالات استعماله:«إذ أنّنا نجد بعضهم يرى أنّ الحجاج في الدّراسات الحجاجيّة على ضربين أحدهما:أنت فيه لا تخرج من مجال المنطق، و بذلك يكون مرادفا للبرهان والاستدلال، و ضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التّقنيات البيانيّة الباعثة على إذعان السّامع أو القارئ[1]».

و يتضح من خلال هذا القول أنّ الحجاج مرادف للبرهان والاستدلال وذلك كون الحجاج عمليّة اتصالية تعتمد الحجّة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتّأثير فيهم، و لعلّ أدلّ هذه المفاهيم على ذلك وأحضرها مفهومان:

★الأول:طريقة تحليل واستدلال، بقصد تقديم مبررات مقبولة للتّأثير في الاعتقاد والسّلوك.

★الثاني:عملية اتصاليّة يستخدم فيها المنطق للتّأثير في الآخرين.

لقد تناول الباحثون مصطلح الحجاج من زاويتين:الأولى تعنى بدراسة العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وما تحمله هذه العلاقة من استعمال آليات الإرسال ومراعاة حال المتلقين، أمّا الثانية فتعتبر الحجاج بنية نصيّة، وهنا يتّم التّركيز فقط على الجوانب اللّغوية[2].

فالحجاج يرتكز على الجانب اللّغوي من خلال ما يقوم به في العمليّة التّواصليّة، إذ إنّه:«يأتي كشكل من أشكال التّواصل والتّخاطب والحوار[1]».

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م، ص08.

[2] يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد ، مجلّة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ع2، 2006م، ص286.

و قد دافع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن من خلال سعيه إلى إقناع النّاس بفكرة النّظم، بما طبع دلائله بطابع حجاجي واضح، حيث صرّح في مقدمة كتابه**"دلائل الإعجاز"** بأنّ الكلام نظم واتباعه يحقق الإقناع بقوله:«و ينبغي لكلّ ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه، ويستقصي التّأمل لما أودعناه، فإن علم أنّه الطّريق إلى البيان والكشف عن الحجّة والبرهان، تبع الحذف وأخذ به وإلاّ رأى أنّ له طريقا غيره أو مآلنا إليه، ودلّنا عليه وهيهات ذلك[2]».

يتجلى من كلام عبد القاهر طابعه السجالي، من خلال دفاعه عن فكرته وتبكيت خصومه من أصحاب الرّأي والعقل، حين طلب منهم الإتيان بطريق آخر غير الذي عرضه عليهم، مُستبعدا حصول ذلك حين توسل بصيغة المباعدة التي حملتها كلمة"هيهات".

يقوم الحجاج بتقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيّنة، فهو يتمثل في إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب أو في إنجاز متواليات من الأقوال، فبعضها بمثابة الحجج اللّغوية، وبعضها الآخر بمثابة النّتائج التي تستنتج منها، كما أنّ عمليّة الحجاج تتطلّب ثلاثة أركان أساسية، هي:

-المحاج: وهو صاحب الغلبة في الحجاج.

-المحجوج: وهو المغلوب.

_الحجج: هي التي تدور حولها ألسنة كلّ من المتناظرين.

[1] عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداوليّة معرفيّة بآليات التّواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007م، ص12.

[2] سهيلة بن عبد الحفيظ، الحجاج في زهديات أبي العتاهية، إشراف بوزيد ساسي هادف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة 08 ماي 1945، قالمة ، ص25.

المبحث الثاني:لمحة تاريخية عن الحجاج قديما وحديثا

1-الحجاج في الدراسات اليونانية:

اهتم علماء الغرب القدامى بصفة عامة، بقضية الحجاج حيث أدرج هؤلاء الحجاج ضمن فنون الخطابة والبلاغة والجدل، ونذكر كلّ من السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو:

1-1-الحجاج عند السفسطائيين:

السفسطائيون(Sophiste) هم طائفة، وتعنى كلمة السّفسطائيّة الحكيم الخبير، فقد ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، حاول السفسطائيون الاستفادة من الفلسفة العقليّة التي أسسها أنكاجوراس والذي بدوره قدّم مذهبا جديدا قائما على العقل، فاستغل رواد حركة السفسطائية هذا المذهب من منظورهم الخاص، و يتميّز هؤلاء بكفاءة بلاغيّة ولغويّة عالية ولهم خبرة في الجدل، و كان هدفهم السّيطرة على العقول والإقناع وتضليل الشّعب عن طريق خطاباتهم، و هذا ما أشار إليها وولترستيس (Stace. t. w .) في عمله (تاريخ الفلسفة اليونانية)، حيث قال في سياق حديثه عن السفسطائيين :«لقد كانوا أول من وجهوا الانتباه إلى علم الخطابة الذي يعدونهم مؤسسيه[1]».

أكد وولتر أنّ السفسطائيين اعتنوا بعلم الخطابة نظرا لأهميته ، فالخطيب السفسطائي أثناء إلقاءه لخطاب ما يستخدم الحيّل في عرض الحجج بهدف إغراء وجذب المتلقي.

فالسفسطائيون يربطون القول بالإنسان، لأنّ الخطابة باعتبارها حاملة لقوّة القول لا تبنى ولا تعمل على البحث في مختلف جوانب الوجود، و«لا يكون الهدف المقصود من الحجاج فحص الأفكار والمواقف والبحث عن أقربها إلى الصّواب بل التّفاعل بين الإنسان والإنسان وبلوغ المقاصد المرسومة مسبقا لحركة

[1] وولترسيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، دار الثّقافة لنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1984، ص100.

الحجاج[1]». فالخطابة السّفسطائية تهدف إلى استخدام الحجج في خطاباتها من أجل خلق التأثير وإقناع المتلقين.

عرّف السفسطائيون الجدل واتّخذوه منهجا لإقناع الآخرين ة التّأثير فيهم، و يلجأ الخطيب السّفسطائي إلى اختيار أساليب مزخرفة بالشّجع والمجاز والتّلاعب بتراكيب الجمل، فهم بارعون في فن البلاغة، نظرا لما تحمله من فصاحة وسلطة في القول، بغية مخاطبة النّفوس والعواطف وإقناعها، ولكي يتحقق الإقناع يجب أن يكون المرء فصيحا، وأول من تخصص في هذا العلم هو كوراس (corax) الذي قدم«مجموعة من الآليات التي تساعد الحجاج بطريقة فعّالة أمام المحاكم، ومما يفيد أنّ البلاغة ولدت في سياق قضائي، ومن رحم التّفكير في الطُّرق التي تسمح بوضع طريقة فعّالة للكلام[2]».

درس السفسطائيون البلاغة نظرا لأهميتها التي تتمثل في الفعاليّة القضائية ثم وضفت أيضا في السياسية وهذا يساعد على تعلّم الأدب إلاّ أنّ الهدف الأساسي من تعلّم البلاغة والخطابة والجدل هو خداع النّاس والسّخرية بمشاعرهم وتضليلهم.

انتقدت الفلسفة السفسطائية باعتبار أن العقل أساس التفكير بقضايا الواقع الذي نعيشه، فالشّخص إذا أراد أن يقدم لنا حجة تقنعنا فلا يجب عليه أن يستغل عواطفنا أو يستخدم القوّة، بل عليه أن يعتمد على مناقشة الآراء يقنع من خلالها عقولنا،

و يستبدل بالبراهين القائمة على الواقع، وهذا يتناقض مع تفكير السفسطائيين.

[1] حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة تونس، 1998، ص59.

[2] فليب برتون وجيل جوتبيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي، جدّة، السعودية، 2011، ص21.

1-2-الحجاج عند أفلاطون(427-347ق م):

انطلق مشروع أفلاطون في الحجاج من خلال الصّراع الذي نشأ بينه وبين السفسطائيين، فوجّه لهم الإنتقاد، وفي الوقت نفسه قدّم حججا لتثبيت ذلك، و أفلاطون كان يمجّد العقل والحقيقة، فانتقد المعرفة السفسطائيّة التي تمجد الظّن والمحتمل، ويرى أنّ الإقناع الذي يعتمد على الظّن غير مفيد فهو ينشيء عند الإنسان اعتقادا غير صادق.

يرى أفلاطون أنّ الممارسات الحجاجيّة في الخطابة السفسطائية، وكذا ممارسات السّفسطائيين القولية في القضايا دون التّطرق إلى المعرفة لا تهتم بقيمة الفرد ونفع المجتمع، حيث يقول عن هذه الممارسات بأنّها«تتجه نحو اللّذة وتغيير الخير مما يجعلها عارية من القيم المعرفيّة والأخلاقية[1]». ومعنى هذا أنّ الحجاج السفسطائي يثير عاطفة السّامع وجعله معجبا بالخطبة التي تلقى عليه، ويكون مقتنعا بمضمونها، و يمارس الإغواء فمنهج أفلاطون في الحجاج يركز على الأخلاق في كلّ شيء، و يرى، أنّ الخطابة تحمل نتائج ظنيّة، مبحثها اللّذة والهوى وهي أمور غير يقينية وغير أخلاقية، لا تنفع الشّعب«إذ اعتبرها أداة تزينية تمويهيّة تحقق اللّذة لكن لا تحقق الفضيلة، ولم يقف عند هذا الحد بل زاد بأن جعلها صناعة من صناعات التملق[2]». فأفلاطون اعتمد على معيارين هما:العلم والخير، أساسا لكل حجاج، فهما ينفعان الفرد والمجتمع.

فأحد الباحثين يقول عن مشروع أفلاطون إنّه«يقطع تماما مع الخطابة السفسطائية، ويمهّد بعض التّمهيد لخطابة أرسطو:هو يقطع مع الخطابة السفسطائية إذ أراد بها أن يجعل الحجاج الذي يكون بين الإنسان والإنسان في شؤون الاجتماع والسّياسة صادرا عن الحقيقة لا عن"المحتمل"و"الظنّ"و قاصدا

[1] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2013، ص40.

[2] محمد سالم، محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27-28.

إلى الفضيلة والخير لا إلى تحقيق المآرب بسلطة القول[1]».تحمل الخطابة عند أفلاطون حججا صادقة حقيقية، بعيدة عن سلطة القول والاحتمال والظن سواء في المحاكم أم مجالس شعب، فتنبنى صناعة الخطابة عنده على ثلاثة أركان تتمثل في:«اعتماد المنهج الجدلي، و معرفة أنواع النّفوس وما يناسبها من أقاويل، و معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب[2]». فالجدل عند أفلاطون هو الرّكن الأول في صناعة الخطابة، أمّا الرّكن الثاني من صناعة الخطابة الذي يتمثل في أنواع النّفوس وما يوافقها من أنواع الأقاويل«فيتعلق بمبدأ التناسب بين القول والسّامع[3]». فأفلاطون ركّز على السامع من خلال ذكر أنواع النّفوس ودليل هذا أنّه يراعي السّامع في إنتاج الخطاب.

أمّا الرّكن الثالث والأخير في صناعة الخطابة «فيهتم بالأسلوب وانسجام مكوناته وتناسب وحداته[4]».فهو اهتم بأسلوب الخطاب من خلال اتساق وانسجام بنياته بعضها لبعض.

فقد درس أفلاطون الخطابة من أجل بث الحقيقة والفضيلة،و يرفض أي تلاعب بعواطف الناس، كما يرفض" الضّغط وفرض الإقناع لمجرّد أنّ العامة تساند هذه الفكرة، و في رأيه لا ينبغي الاحتكام إلى العامة حينما يتعلّق الأمر بالمعرفة". فقد دفع المتلقي إلى الإقناع ورفض الضّغط، فأفلاطون أوجب احترام السّامع، ودرس أفلاطون الحجاج واعتمد المنهج الأخلاقي فهو يهدف إلى الخير وحارب منهجهُ الظن والتزييف.

[1] حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،ص78.

[2] المرجع نفسه، ص30.

[3] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص30.

[4] المرجع نفسه، ص30.

1-3-الحجاج عند أرسطو(384-322 ق م):

لقد اهتم أرسطو في دراسته للحجاج على الخطابة والجدل والبلاغة، فهو يعتبر العمدة في عمليّة الحجاج، ونهج منهج أستاذه أفلاطون في اهتمامه بالجدل، وأيضا اهتم بموضوع الحجاج نظرا لأحوال المجتمع اليوناني الخاضع لسلطة القول، فأرسطو عرّف السّفسطة بكونهما«استدلالا صحيحا في الظاهر معتلا في الحقيقة، وجعل الغرض من وراء دراستها هو معرفة الحيل التي يلجأ إليها السفسطائيون[1]». وأرسطو يعني من هذا القول أنّ حجج السفسطائيين تحمل في جوهرها كذب وتضليل، فهي نقيضة لليقين والحقيقة، ففي البداية كان مشروعه في الحجاج هو معارضة الفكر السفسطائي ودعوة الجمهور إلى التّفطن والنّهوض بما يدور حوله، وعرّف الخطابة قائلا:«إنّ الريطوريّة ويعني(الخطابة) ترجع إإلى الديا لقطيعية أي (صناعة الجدل) فهناك شيء يربط بينهما ألا وهو الإقناع[2]»، فهما تعدان قويتين لإنتاج الحجج، فنوع الحجاج تختلف، فحجج الخطابة طنيّة محتملة بينما حجج الجدل خاضعة للتفكير القائم على الواقع.

و قد ميّز أرسطو بين ثلاث مستويات من الحجج:

(الأيتوس، والباتوس، واللّوغوس)في علاقتها بالأفعال الثّلاثة للفعل الخطابي :الخطيب، المستمع، الخطاب.

_**الأيتوس (Pthos)**:يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصّورة التي يقدمها عن نفسه.

[1] حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة،ص12.

[2] أرسطو طاليس، الخطابة، تر:عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979م، ص3.

*الأيتوس لغة:هي جاذبية إلى سلطة أو مصداقية المتحدث. تحدد بمدى قدرة المتحدث على إقناع الجمهور بأنّه هو أو هي مؤهل لأن يتحدث في موضوع معيّن [1].

_**الباتوس (Pathos)**:و يشكل مجموعة الانفعالات التي يرغب الخطيب إثارتها لدى المستمعين.

_**اللوغوس (Logos)**:و يمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السّلوك الخطابي فيرتبط بالقدرة الخطابيّة على الاستعمال والبناء الحجاجي[2].

اهتم أرسطو بعناصر بناء الخطاب وعدّها ثلاثة أطراف أساسية مكونة له فهذه العناصر تساهم في فعاليته، ولهذا أصدر ثلاثة كتب، فالكتاب الأول من الخطابة اهتم بالخطيب، فقد عالج فيه«مفهوم البراهين بحسب تعلقها بالخطيب، ومدى انسجامها مع الجمهور[3]».وقد عالج فيها كيفيّة إنتاج البراهين من طرف الخطيب مع مراعاة مقامات السّامعين، أمّا الكتاب الثاني فقد خصصه لمتلقي الرّسالة، كتاب الجمهور«عالج فيه عددا من الانفعالات والأهواء، وكذا بعض البراهين غير أنّها هذه المرة بحسب تلقيها»، [4] و يعني هذا أنّه درس التّفاعلات والانفعالات التي تحدث للمتلقي أثناء استعماله للخطاب.

أمّا الكتاب الثالث فاهتم بالرّسالة«إذ عالج فيه الأسلوب أو البيان أي الصور البلاغيّة، وتنظيم أجزاء القول[5]»، فقد اهتم بالأسلوب الذي يتمثل في الصور البيانية البلاغية، واهتم أيضا بقضية البلاغة.

كما تطرق أرسطو للأركان التي يبنى عليها الحجاج، والتي يلخصها أحد الباحثين [6] فيما يلي:

---

[1] المعجم العربي الحديث،لاروس، ص211.

[2] ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة، دار الثقافة، ص18.

[3] محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص22.

[4]محمد العمري، المرجع نفسه ، ص22.

[5] المرجع نفسه، ص22.

[6] محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص53.

1-**المنهج الجدلي**: درس أرسطو الجدل في علاقته بالخطابة والتي يعتبرها«صناعة مدارها إنتاج قول تبنى به الإقناع في مجال محتمل والوسائل الخلافيّة القابلة للنقاش[1]»، فالخطابة عنده إنتاج الرّسالة من طرف المخاطب، تحمل حججا تهدف إلى إقناع المخاطّب عن طريق عرض الأفكار ومناقشتها وتقديم الاستدلال البرهاني للدفاع عنها، ويعنى هذا أنّ أرسطو ينادي بالمجادلة ويرفض الخطاب الحجاجي السفسطائي، فهو لا يمنح فرصة للجمهور لمناقشة الآراء، فقد اهتم بالجدل باعتباره الطّريقة المناسبة لتوجيه الانتقاد لأغلاطهم، فالجدل عند أرسطو هو عرض مشكلة يتم فيه المناقشة من خلال عرض سؤال من طرف المتكلم والمتلقي الذي يقدم جوابا، ويعتبر أرسطو أنّ الجدل هو «الوسيلة التي يرد بها أن ينقل الحجاج عموما من مجال الظّن والاحتمال إلى مجال الحقيقة[2]».

اهتم أرسطو بالخطابة لمعالجة الحجج السفسطائيّة بما فيها مغلطات لغوية والتي تتمثل في«الغموض والاشتباه والتّرتيب المبهم للكلمات والقسمة المبهمة للكلمات والشّكل الخاطىء وصورة التّعبير المستخدم، وهي بحسبه تحدث الوهم في القول واللفظ[3]».

2-**معرفة أنواع النفوس**: اهتم أرسطو بالقدرات الذهنية لدى السامع، وما يستقبله من قول، ويذهب إلى أنّ«مدار هذا الركن هو مبدأ التناسب بين القول والسامع[4]»، فيرى أرسطو أنّه ينبغي على المتكلم أن يراعي القدرات العقليّة لدى السامع أثناء عرض الحجج فكلّ شخص له طبائع تختلف عن طبائع غيره، فنبه في بحوثه البلاغيّة إلى قضية مهمة وهي الدّلالة التي لها صلة بالحجاج فقال بأنّ «الذين ليس لهم

[1] حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص12.
[2] محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، 53.
[3] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص57.
[4] محمد سعد بن الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص53.

خبرة بخصائص يسمعون غيرهم[1]»، فالمتكلم من الضّروري أن ينتقي في تعابيره كلمات بسيطة وغير ملتبسة كي لا يقع المتلقي في الاشتراك اللّفظي أمّا الاستدلال الحجاجي فيحفز عقل المتلقي على البحث عن المعنى الذي يقصده المتكلم.

3-**المراعاة المقامات**: شعار البلاغيين هو"لكل مقام مقال"، اهتم أرسطو بالمقام، واعتبره مهما من أجل الوصول إلى الإقناع، ويرى أنّ المقام هو«حزمة من مبادئ التواصل بين القائل والمتلقي، إذا أُحسنَ تمثيلها كان الحجاج أبعد غورا، وأعظم تأثيرا[2]». ويعنى هذا أنّ التفاعل والتأثير والتاثر بين طرفي العملية في طرح حججهم فيما بينهم.

ممّا سبق نستنتج أنّ أرسطو قد حاول أن يجعل كلّ من الخطابة والحجاج والبلاغة في مسار واحد لأنّها تنطلق من البراهين القائمة في الواقع ومراعاة المقام، فهي تهدف إلى الإقناع والتّأثير في المتلقي.

2_ الحجاج في الدراسات العربية القديمة:

لم يكن المخاطب محلّ اهتمام البلاغة العربيّة القديمة في أول أمر نشأتها، كما كان عليه الحال قبلها في البلاغة الأرسطية، مما جعل حضور المخاطب فيها لاحقا عاملا قويا في تغير الخطاب البلاغي العربي، وعاملا في بُروز بلاغة جديدة عمادها البيان والجوار الإصغاء.

حيث إنّ الحجاج عند العرب لم يكن وليد الدّراسات العربيّة الحديثة، بل كانا من بين القضايا التي درسها علماء العرب القدامى من خلال ما أنجزوه في البلاغة والخطابة، ومن بين العلماء القدامى نذكر كلّ من الجاحظ، والسكاكي، وأبي وهب، وابن حزم الأندلسي.

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص36.

[2] محمد سعد بن الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص53.

2-1-الحجاج عند الجاحظ(163هـ-255هـ):

أول من تطرق إلى قضيّة الحجاج في العالم العربي الجاحظ، من خلال دراسته لعلم البيان الذي جعله كدليل على صحة الحجة، فالتفت الجاحظ في كتابه"البيان والتّبيين" إلى الحجاج في مواضيع عدّة منها قوله:"قال بعض أهل الهند:و من البصر بالحجّة والمعرفة بمواضيع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدّرك وأحق بالظّفر[1]".

ويقول أيضا :«إنّ تحليل استراتيجية كتاب البيان والتّبيين للجاحظ يكشف بكلّ وضوح أنّ هذا الكتاب محاولة لوضع نظريّة لبلاغة الإقناع مركزها الخطاب اللّغوي[2]».

أولى الجاحظ أهميّة بالغة للفهم والإفهام، من جهة دورهما في بلوغ الإقناع والظّفر به.

حيث تتمثل الوظيفة الإفهامية من البيان في وظيفة الفهم والإفهام، حيث يعرف البيان بأنّه«اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير حتى يُفضى السّامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدّليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع إنّما الفهم والإفهام فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع[3]».

اهتم الجاحظ بالفعل اللّغوي، وعدّه أساس كلّ عملية بيانية حجاجيّة، فالبيان عنده يساهم في إزالة الغموض والكشف عن المعنى الحقيقي من أجل بلوغ غاية إفهام السّامع وإقناعه، كما جعل الجاحظ البيان كدليل لتقويّة الكلام والتّأثير في المتلقي والذي يهدف إلى الإقناع بفكرة أو موقف.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السّلام، مكتبة الخانجي، ط5، ج1، القاهرة، مصر، ص88.

[2] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص64.

[3] الجاحظ ، البيان والتبيين، د ط، ج1، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ص82.

2-2-الحجاج عند إسحاق ابن وهب(ت337):

من بين العلماء الذين اهتموا بقضيّة الحجاج إسحاق بن وهب، فدرس البلاغة من النّاحية البرهانيّة، واعتبر الحجاج أحد فنون النّثر لقوله:«أمّا المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة أوترسلا أو احتجاجا أو حديثا، ولكلّ واحد منهم هذه الوجوه موضع الإستعمال فيه[1]».

سوّى ابن وهب بين الاحتجاج والخطابة باعتبارهما جنسين نثريين، فلكل منهما موضعه الذي يستخدم فيه.

تطرّق ابن وهب في كتاب(البرهان في وجوه البيان) إلى قضيّة الجدل و المجادلة بقوله:«أمّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف في اعتقاد المجادلين، ويستعمل في المذاهب والدّيانات وفي الحقوق والخصومات وفي التّسول والاعتذارات ويدخل في الشّعر والنثر[2]». يدل على أنّ الاحتجاج وسيلة من وسائل الجدل ممّا يجعل الجدل اعم من الحجاج، لأنه يستخدم في مواضع الاختلاف بين المذاهب والمعتقدات الدّينيّة، وبين المعارف الإنسانية.

و يري أيضا وجوب التّحلي بالأخلاق أثناء المجادلة، لقوله:«الجدل المحمود ما قصد به الحق واستعمل فيه الصّدق، والجدل المذموم ما أُريد به المداراة والغلبة وطلب الرّياء والسّمعة وإذا كان القصد هو الحق والصّواب[3]». إذن فالجدل صنفان: الأول هو الجدل المحمود الذي ينطلق بالصّدق في الأفكار ويهدف إلى الحق والخير، أمّا الثّاني فهو الجدل المذموم وهو الذي ينطلق من الكذب والمغالطة في الأفكار.

---

[1] أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ت: حنفي محمد الشّريف، مكتبة الشباب، القاهرة، د ط، مصر، ص150.

[2] إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص176.

[3] قعموسي عبد القادر، الخطاب الحجاجي في الفكر النّقدي المعاصر البلاغة والسرد لمحمد ميشال، ص67-68.

2-3-الحجاج عند السكاكي(ت626هـ):

اهتم السكاكي بقضيّة الحجاج في دراسته للبلاغة في كتابه(مفتاح العلوم)، فقسمه إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول خصصه لعلم الصّرف، أمّا القسم الثاني فخصصه لعلم النحو، و القسم الثالث والأخير فقد خصصه لعلمي المعاني والبيان.

عرّف السكاكي البلاغة بأنّها «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التّراكيب حقّها، وإيراد أنواع التّشبيه والمجاز والكناية على وجهه[1]»، فقد ركّز في تعريفه للبلاغة على علم المعاني بأنّه«هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة[2]».

فعرّف علم البيان بأنّه«إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة[3]».

فالبلاغة عند السّكاكي«ملكة تُمكّنُ المتكلم من تأدية المعاني وطرق أساليب متعددة وأوجاعها تخدمها في بلوغ مقاصده، ثم يحول اتجاهه إلى طرفي البلاغة بين الإبانة والإفهام[4]». إذن فالبلاغة موهبة تجعل المخاطب يختار الأساليب التي تؤدي إلى فكرة تحتوي على معان ضمنيّة تحفز المتلقي على البحث على فهمها والكشف عن معناها الجوهري.

وقد استغنى السكاكي منهج الجاحظ في الحجاج في حين ركز على الفهم وإفهام المتلقي.

---

[1] يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص161.

[3] المصدر نفسه، ص329.

[4] بوعافية محمد عبد الرّزاق، البلاغة العربيّة والبلاغات الجديدة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل، لنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2018م، ص78.

كلّ الجهود العربيّة القديمة في حقل الدّراسات الحجاجيّة التي تدور حول قطب واحد وهو القول أو الكلام بتنوع أحواله ومقاماته وأداءاته،كلّها اجتمعت على أنّ الحجاج كمصطلح قديم حديث، هو الجدل والبرهان والإقناع والتّصديق.

2-الحجاج في الدراسات الحديثة:

تغير المنظور القديم للحجاج بفعل ما جاءت به الدراسات الغربية الحديثة بتظافر جهود بعض الباحثين، أمثال:بيرلمان وتيتكاه، وديكرو، ومايير.

1-الحجاج في الدراسات الغربية (الأوروبية):

1-1-الحجاج عند بيرلمان (Perlman)و تيتكاه (Tyteca):

بيرلمان وتيتكاه أعادوا دراسة كتاب أرسطو، فوجداه يقسم الأقوال الإقناعية إلى قسمين جدل الذي يعتمد على العقل والمنطق، و خطابة تعتمد على المشاعر والأحاسيس والعاطفة، أخذ بيرلمان من هذه الثنائية فربطها بالتداولية فوجد أنّ بعض الكلام فيه منطق، فصنّف الحجاج أنّه تواصل من أجل التأثير، كما أنّ هناك حجاجا آخر لا هو بحجاج جدلي ولا خطابي وإنّما هو البلاغة الجديدة، و الحجاج البلاغي يعتمد على العقل والعاطفة.

الحجاج يعتمد على قضايا الحوار، قد تكون مقدمته منطقية لكن نتيجته نسبية، فعندما نتحدث عن "بيرلمان" نذكر كتابه"مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة" الذي اشترك فيه مع تيتكاه المعبر بأنّه حجاج بلاغي الذي يرتبط باللّغة ويدرس الحجاج انطلاقا من اللّغة.

"بيرلمان" و"تيتكاه" قدّما تعريفات عدّة في مواضع مختلفة من كتابهما كقولهما:«موضوع نظرية الحجاج هو دراسة الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد عن درجة ذلك التسليم[1]».

كما ركزّا في موضع آخر عن غاية الحجاج بقولهما:«غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تُذعن لما عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفّق على الأقل في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة[2]».

كما أنّ وظيفة الحجاج عندهما هي:«حمل المتلقي على الإقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة عنه في حجم هذا الإقتناع».

يعني الحجاج حسب شاييم بيرلمان(Chaim Perlman)وتيتيكا (Lucie ollrechits)الطريقة التي بها تقدم الحجج وتعرض منطقيا وعقلانيا الدّفاع عن فرضية أو تفنيدها من أجل جعل الغير يقتنع بها أو يرفضها[3].

إذا، فالحجاج عبارة عن آليات وأساليب وعمليات وروابط لغوية ومنطقية وجدلية وفكرية وتداولية وخطابيّة، توظف في أثناء إنتاج الملفوظ النصي أو الخطابي، شفويا كان أم كتابيا بغية التّأثير والإقناع، والإقتناع، والحوار، وهذا يعني أنّ الحجاج مرتبط بالمتكلم، والمخاطب، والمقصديّة، والاستلزام الحواري.

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1، دار فارابي، بيروت، لبنان، 2001م، ص27.

[2] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص299.

[3] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته، ص11.

فمن خلال التعريفات التي قدّمها كل من "بيرلمان وتيتكاه"فإنه ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره، فالحجاجإذا يستند إلى صناعة الجدل من جهة، ومن جهة أخرى إلى صناعة الخطابة، وإنما يجعل كيفية الحجاج شيئا ثالثا.

يقسّم "بيرلمان وتيتكاه"الحجاج إلى قسمين تبعا لنوع الجمهور وهما:

1-الحجاج الإقناعي:وهو ما يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص.

2-**الحجاج الإقتناعي**:وهو حجاج يروم أن يُسلّم به كلّ ذي عقل فهو عام، حيث يجعل المؤلّفان الإقتناع، وهو عقلي دائما أساس الإذعان وأساس الحجاج، في مقابل الإقناع الذي لا يُعتد به في الحجاج بما هو ذاتي وخاص.

وفق بيرلمان فإنّ مميزات الحجاج وملامحه الرئيسية هي:

-يتوجه إلى مستمع.

-يُعبر عنه بلغة طبيعيّة.

-مُسلماته احتمالية.

-لا يفتقر تقدّمه(Progression) إلى ضرورة منطقيّة بمعنى الكلمة.

-نتائجه غير مُلزمة(احتمالية غير حتمية).

من خلال تصور"بيرلمان وتيتكاه"إلى هذه التحديدات والملامح التي ينهض بها الحجاج، فإن الأطر الحجاجيّة عندهما تتمثل في العلاقات الثّنائية القائمة بين الحجاج والخطابة، ثم الحجاج والجدل، وذلك في إطار عمليّة إقامة الدّليل والبحث عن آليات تحصيل الإقناع بالتّحرك من أجل إنجاز الفعل المقصود أصلا من قبل الخطيب.

1-2-الحجاج عند أوزوالد ديكرو(Ducrot):

ديكرو هو أحد العلماء الفرنسيين المتخصصين في علم الدلالة والتداوليات، و أسس نظرية الحجاج في اللّغة، فالحجاج عند ديكرو أساسه اللغة فمن اللغة تقدم الحجج، فهو انطلق من أفعال الكلام والتداولية خاصة فعل التأثير، فديكرو لساني مثلما حاول سوسير في دراسة اللغة.

فهو انطلق من فكرة الخبر والإنشاء وجعله خبرا، وفي الوقت نفسه يجعل المحتوى الضمني أساسه الحجاج.

يُقر ديكرو بأنّ اللغة في ذاتها هي حجاج،فالكلمات التي احتوتها هي القصد، فالقصد ضروري في الحجاج، وحاول أن يجمع بين الدلالة والتداولية لذلك انطلق من فكرة إبراز بداية مشروعه حول الحجاج.

***التداولية المدمجة**:هو تيار يتعارض مع النّظريات التي تفصل بين الدلالة والجانب التداولي في الخطاب، تعرض التداولية المدمجة تعارض تيارا منطقيا قائما على تصور خطي للعلاقة بين التركيب والدلالة والتداول[1]".

و من هنا فإن ديكرو حدد مستويات لدراسة اللغة وهي ثلاثة:

1-**المستوى التركيبي**:حيث يعنى بدراسة قواعد النظم بين مكوناته اللغوية.

2-**المستوى الدلالي**:يعنى بدراسة علاقات الكلمات للجمل بمدلولها.

3-المستوى التداولي:وهذا الأخير يعنى بدراسة استعمال الجمل في التخاطب ومدى مناسبتها للمقام.

حسب ديكرو اللغة ليست أداة لإخبار ولا وصف الأشياء، وإنّما تتجاوز ذلك بتحقيق أعمال لغوية ذات قوة إنجازية تحدد المواقف، كما يؤكد أنّ اللغة تتضمن مجموعة من الإجراءات الخاصة التي تسمح

[1] حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في تقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص353.

بإقامة تنوع كبير في العلاقات الإنسانية، «لكثير من الأفعال القولية وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل، و تحمل الجمل المؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية باستقلال عن المحتوى الإخباري[1]»، معنى ذلك أنّ لكل خطاب وظيفة حجاجية، كما يقر بأنّ كل ملفوظ يحمل في ذاته طابعا حجاجيا، يقول ديكرو في هذا الصدد:«إنّ الملفوظ ينطوي في ذاته على إشارة للطابع الحجاجي للمحمولات التي تشكله[2]».

كما ميّز بين الحجاج والاستدلال، فالاستدلال حسب ديكرو أساسه قضايا كونية ومجاله المنطق، أما الحجاج فلا يخضع لاعتبارات خارجية ومنطقية بل لاعتبارات داخلية، «فالاستدلال أساسه ربط المتكلم آراءه واعتقاداته بحالة الأشياء في الكون[3]»، أما الحجاج فهو:«عملية موجودة في الخطاب نفسه أي لا يستند إلى حدث في الكون خارجي عن اللغة، فالحجاج خاصية لغوية دلالية وليست ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام[4]».

فالحجاج اللساني عند ديكرو بمفهومين السلالم الحجاجية والروابط والعوامل الحجاجية.

***الحجة في السلالم الحجاجية**:الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلاّ بإضافتها إلى النتيجة، مع الإشارةإلاّ أنّ النتيجة قد يصرح بها وقد تكون ضمنية، فنظرية السلالم الحجاجية التي تدعم بها النتيجة قد تكون متفاوتة في درجة قوتها التأثيرية الإقناعية، تشكل سلما حجاجيا.

-السّلم الحجاجي: هو علاقة ترتيبة للحجج يُمكن أن نرمز لها كالتّالي:

---

[1] محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، 2005م، ص106.

[2] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص97.

[3] جابلي عمر، نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وانسكومبر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، تصدرها جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018م، ص197.

[4] المرجع السابق، ص197.

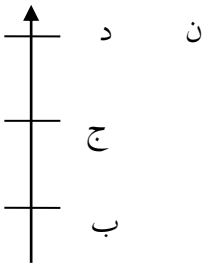

ن=النتيجة

"ب"وج"ود"حجج وأدلة تخدم النّتيجة "ن"

فعندما نقوم تقوم بين الحجج المنتميّة إلى فئة حجاجية ما ،علاقة ترتيبة معيّنة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذا إلى نفس السّلم الحجاجي فالسّلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة، و يتسم السّلم الحجاجي بالقسمتين الآتيتين:

أ--كلّ قول يرد في درجة ما من السّلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل "ن".

ب-إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النّتيجة "ن" فهذا يستلزم أنّ "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

1-حصل زيد على الشّهادة الثّانوية.

2-حصل زيد على شهادة الإجازة.

3-حصل زيد على شهادة الدّكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة، وتنتمي كذلك إلى نفس السّلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل "كفاءة زيد" أو مكانته العلميّة. ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السّلم الحجاجي، وحصل زيد على الدّكتوراه، هي بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلميّة، و يمكن التّرميز لهذا السّلم كما يلي[1]:

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص20-21.

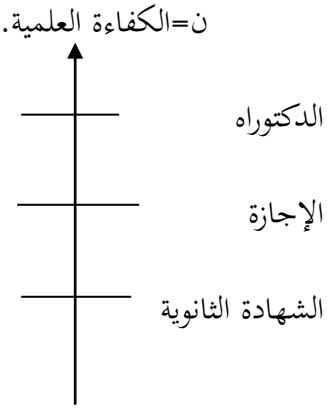

***الروابط والعوامل الحجاجية**:لها علاقة بانسجام الخطاب وقيادة المستمع إلى الاتجاه الذي يريده المتكلم، و هي ترتكز على أبنية اللغة منها ما يتعلق بعدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بإحالة على قيمها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات:لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، رُبما، تقريبا، إنّما، . . . إلاّ. . . . الخ.

فإذا أخذنا المثال التالي:

*زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان.

فسنجد أنه يشتمل على حجة هي(زيد مجتهد) ونتيجة مُستنتجة منها (سينجح)، وهناك الرابط (إذن) الذي يربط بينهما[1].

1-3-الحجاج عند مايير:

يعتبر مايير أحد منظري البلاغة المعاصرة، فقد أحدثت دراسته الأخيرة طفرة نوعية في تحليل الخطاب في مجال التّواصل والإقناع، واهتم بالفلسفة والبلاغة واللّغة، وهو صاحب مقولة«إنّ العقل الغربي يمر

[1] العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ص26-30.

بأزمة[1]». و قصد من هذه المقولة وجود قوّة تقيد وتسيطر على العقل الغربي فهذه القوّة لا تسمح بتحرير الإنسان إلاّ من خلال مناقشة الآراء بالسّؤال والجواب والدّفاع عن الأفكار وتقديم الحجج، فهو يسعى إلى إحياء فكر ديكارت في الوجود صاحب المقولة الشّهيرة" أنا أفكر إذن أنا موجود[2]" فالفكر الدّيكارتي في نظريته أدرجه حول الحجاج لإدراك قيمة التّفكير التي تجعل الإنسان يفرض وجوده عن طريق المناقشة والحوار مع الغير، فهي رسالة تثبت الذات في المجتمع.

و عرف الحجاج بقوله:«الحجاج هو دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمنيه[3]». يقوم الحجاج عنده على الضمني والصريح.

فالحجاج عند مايير قائم بين السؤال(الفعل) بعرض رأي، والجواب(ردة الفعل)، فهو مثل في قبول الرّأي أو رفضه وإعطاء البديل المتمثل في حجّة معارضة، يقول مايير في هذا الصدد:«إنّ اعتماد المساءلة في الفكر يعني الانتقال من الذات الخالصة إلى أوساع الآخر[4]»، فالمساءلة يعتبرها لب دراسة الحجاج، لأنّ السؤال منفتح على عدّة أجوبة، فمثلا المتكلم ينطلق من إخبار الطرف الثاني بمعلومة، فهذه عبارة عن فكرة تعبر عن رأي يمكن أن تحتمل الصدق أو الكذب، و الطرف الثاني يحتاج إلى الاستفسار وتوضيحات حول هذا الرّأي، عن طريق الأسئلة، و أهم الرّكائز التي تقوم عليها النظريّة هي«الركيزة الأولى:المجاز والبلاغة، و الثانية:السؤال والجواب، و الثالثة:الضمني والمصرّح به»، فالمجاز حسب مايير، يؤدي إلى خلق التساؤل لدى المتلقي، وذلك من خلال علاقة السؤال بالجواب، و دورهما في تأسيس الصور البلاغية.

[1] محمد سعد بن دكان الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص66.
[2] المرجع نفسه، ص66.
[3] الحجاج في القرآن الكريم، ص37.
[4] محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص67.

و حمادي صمود يوضّح ذلك بالمثال التالي:"محمد أسدً(. . .) يتساءل المخاطب عن مقصد المتكل وعن سبب اقتران (محمد)ب(الأسد)"[1]، فالحجاج تنتجه طبيعة الكلام المبنيّة على السّؤال ة الجواب، ومعنى هذا أنّ السّؤال والجواب يؤديان إلى النّقاش ة التّفاوض بين المتخاطبين، و يمثل ذلك الحجاج.

و هكذا ينظر مايير إلى سيرورة الحجاج، و التي تتم بالمساءلة، و يقول مايير عن السّؤال بأنّه«يولد خيارات متعددة في الجواب، و هذا الأخير ليس ناجزا قارا بل هو امتدادات لا تفتأ تتفتح ة تتطوّر، وتنتج البدائل، لذلك فوحده الاستشكال يمنح للثّقافة المعاصرة تعدد المعاني»[2]، تعمل هذه الصور على تأسيس فعل الحجاج، و تحفّز المتلقي على البحث عن المعنى المستتر، و توصله إلى أفق التّأويل(علاقة السؤال بالجواب)، و كلما توسع التّأويل قوي الحجاج.

2- الحجاج في الدراسات العربية الحديثة:

إنّ الباحث في الدّراسات العربيّة الحديثة والمتتبع لها في مجال الحجاج، لأدلة لا يسعه أن ينكر الآفاق الرّحبة التي فتحتها في هذا الحقل، إذ أصبح موضوع الحجاج في هذه الدّراسات علما قائما بذاته، حيث قادت اجتهادات الغربيين في هذا المجال في منتصف القرن الماضي بداية من بيرلمان المفكرين العرب إلى بلورت موقف حول هذا الدّرس، الضّارب في أعماق تراثهم حيث حاول بعضهم الكشف عن جذوره في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، فيما جنح البعض الآخر إلى استثمار النظّريات الغربية في تحليل الخطابات المختلفة، ومن بين هذه الأعمال نستدلّ ببعض الدّراسات هؤلاء الباحثين ومنهم:

[1] حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص397.
[2] محمد سعد بن الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص67.

2-1-الحجاج عند أبي بكر العزاوي:

اهتم أبو بكر العزاوي بالحجاج من خلال تقديمه لبحثه عنوانه(الرّوابط الحجاجيّة في اللّغة العربيّة)، فموضوع هذا البحث كان لنيل شهادة الدكتوراه في فرنسا تحت إشراف العالم اللّغوي أوزفالدديكرو، ويعتبر بعض الباحثين أبا بكر العزاوي«أحد مؤسسي النّظرية الحجاجيّة في العالم العربي، و ذلك أنّه في الوقت الذي لم نكن نسمع عن الحجاج في المغرب أو العالم العربي كان المؤلف قد شرع في إنجاز أطروحته الأولى سنة 1983م، بإشراف العالم اللّغوي ديكرو، إذ لم يكن في العالم العربي إلاّ باحث واحد مختص بالحجاج والمنطق ألاّ وهو الدّكتور طه عبد الرّحمن.

إنّ الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيّنة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية وبعضها الآخر هو بمثابةالنّتائج التي تستنتج منها. إنّ كون اللّغة لها وظيفة حجاجيّة يعني أنّ التّسلسلات الخطابيّة محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، و لكنّها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، و بواسطة المواد اللّغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها[1]».

يتجلّى إسهام العزاوي في الدّرس الحجاجي العربي الحديث من خلال مجموعة من الكتب والمقالات التي ألفها لعلّ أهمها:كتاب"الخطاب والحجاج"، و كتاب اللّغة والحجاج. حيث انطلق في أبحاثه من مبدأ عام«هو لا تواصل من غير حجاج»و«لا حجاج من غير تواصل[2]».

اهتم أبو بكر العزّاوي بدراسة الحجاج في مستوياته المختلفة، سواء على مستوى الخطاب القرآني، أو الخطاب الإشهاري أو غيرها من المدونات.

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2006م، ص16-17.

[2] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص106.

كما قدّم مفاهيم لمصطلحات الحجاج اللّغوي، من قبيل الرّوابط والعوامل الحجاجية ومفهوم التّوجيه والسّلم الحجاجي.

2-2-الحجاج عند محمد العمري:

تتمثل الأعمال التي قدمها محمد العمري في مجال البلاغة والحجاج امتدادا لنظريات حجاجيّة غربيّة وعربيّة قديمة وحديثة، ومن أهم أعماله:

بلاغة الخطاب الإقناعي.

البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها.

تحليل الخطاب الشّعري.

كتاب (بلاغة الخطاب الإقناعي)ألفه محمد العمري سنة 1986م، درس فيه الخطاب الحجاجي الذي يهدف إلى التأثير والإقناع، فقد اهتم بالحجاج والبلاغة والفلسفة والمعرفة بصفة عامة، ثم حاول أن يبيّن كيف تسعى هذه العلوم إلى التّحليل الإقناعي.

كما تعمّق في التّراث العربي القديم، و دليل ذلك تأليف كتابه(البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها)، حيث«أعاد قراءة التّراث البلاغي، في ضوء المعطيات الحديثة ، و لا نستطيع القول بأنّ العمري قد لخّص الأعمال البلاغيّة التراثيّة أو شرحها، بل كشف عن الغامض، و بين المختفي، و أكمل النّاقص منها[1]»، حيث أعاد قراءة التّراث العربي القديم من منظور حديث.

أول كتاب اهتم بعمليّة الإقناع في البلاغة العربيّة، كتاب العمري(في بلاغة الخطاب الإقناعي)، ويرى أنّ البحث عن الحجاج يُستوجبُ حسن التفريق "بين الخطابات التي تستهدف الحجاج والإقناع

[1] بوعافية محمد عبد الرّزاق، البلاغة العربيّة والبلاغات الجديدة، ص142.

والخطابات التي لا تستهدف ذلك، و لكنّها لا تخلو من بعد حجاجي ناتج عن السّياقات الموجهة للخطاب[1]".

الحجاج عند محمد العمري هو محاولة لتتبع الخطاب الإقناعي في المتن الخطابي العربي، و يعتمد على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب، أو الخطاب عموما، و لا سيما الحجج والبراهين الخطابيّة.

2-3-الحجاج عند طه عبد الرحمن:

لقد تميّزت نظرة طه عبد الرّحمن إلى الحجاج بطابع فلسفي يستند على المنطق، حيث ارتبط الدّرس الحجاجي العربي المعاصر ارتباطا وثيقا به، و من أبرز أعماله كتابه في "أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، وكتابه"اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي".

حيث حدّد "طه عبد الرّحمن"الحجاج فيهما منطلقا من مبدأين هما قصد الدعاء وقصد الاعتراض.

1-**قصد الادعاء**:و مقتضاه أنّ المنطوق لا يكون خطابا حقا حتى يحصل من النّاطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه، و تمام استعداده لإقامة الدّليل عليه عند الضرورة.

2-**قصد الاعتراض**:و مقتضاه أنّ المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يكون للمنطوق له حق مطالبة النّاطق بالدّليل على ما يدّعيه.

فبخصوص قصد الإدعاء فهو خاص بالمخاطب اثناء ادعاءه لشيء لا بدّ عليه أن يثبت حججه بآراء وأدلة.

أمّا بخصوص قصد الاعتراض فهو خاص بالمتلقي الذي يحق له الاعتراض على الدّعاوى المطروحة عليه، وإثبات اعتراضه بأدلة وبراهين.

[1] زقرورنجمة، البنيةالحجاجيّة في قصص الأنبياء، ص71.

فالحجاج عنده هو وسيلة تواصليّة يوظفها المخاطب والمخاطَب قصد إفهاما لإدعاء في الشّيء الذي يكون من إنتاج المتكلم والدّفاع عنه والاعتراض الذي من طرف المتلقي ومحاولته لدحض الادعاء بإتيان ببراهين والأدلة لإثبات وجود خطأ في الفكرة، فنظريته في الحجاج ذات طابع فلسفي.

و قسّم طه عبد الرحمن إلى ثلاثة أصناف وهي:

أ–الحجاج التّجريدي:«وهو الإتيان بالدّليل على الدّعوى على طريقة أهل البرهان، علما أنّ البرهان والاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النّظر عن مضامينها واستعمالاتها»[1]، فهو حجاج شكلي شبيه بمنطق أرسطو الذي يوافق بين المقدمات والنّتائج لأنّه لا يهتم بمضمون الدّعوى ولا بمراعاة المقام.

ب–الحجاج التّوجيهي:«و هو إقامة الدّليل على الدّعوى بالبناء على فعل التّوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأنّ التوجيه هو هنا فعل ايصال المستدل لحجته على غيره»[2].

ج–الحجاج التقويمي:«وهوإثبات الدّعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية، وينزلها منزلة المعترض على دعواه، فهنا لا يكتفي المستدل بالنّظر في فعل إلقاء الحجّة على المخاطَب. . . فإنّ المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيا فيه كلّ مستلزمات من قيود تواصليّة وحدود تعاملية»[3]. فعلى المتكلم أن ينقد نفسه قبل أن ينقد غيره.

[1]طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص226.
[2]طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص227.
[3]المرجع نفسه، ص228.

المبحث الثاني: أصناف الحجاج وآلياته

1-أصناف الحجاج:

تعددت وجهات نظر الباحثين في تحديد أصناف الحجاج، واختلفت آراؤهم في ذلك ومن بين هذه الآراء نذكر ما يلي:

أ-الحجاج التوجيهي:المقصود به إقامة الدّليل على الدّعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدّل، و التّوجيه هنا هو فعل إيصال المستدّل بأقواله من حيث إلقاؤها لها، و لا ينشغل بنفس المقدار من حيث تلقّيها من طرف المخاطب، و ردّ فعله عليها، فهو يولى أقصى عنايته لمقاصده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة. [1]

فالتوجيه هو طريقة يوصل بها المحاجج أدلته إلى غيره، و هذا النّوع من الحجاج يهتم فقط بالمخاطب، دون الاهتمام بردّة فعل المخَاطَب ورأيه.

ب-الحجاج التّقويمي:«وهوإثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكفي المستدل بالنّظر إلى فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى إلى النّظر في فعل التّلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدّلته أيضا على مقتضى ما يتعيّن من المستدل له أن يقوم به مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها زو مستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها[2]». و يعنى به إقامة مخاطب وهي للحوار معه، فهذا النّوع من الحجاج يهتم بردّة فعل المخاطب، و لا يتوقف في حدود المخاطب خطابه فقط.

---

[1] ينظر:طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان، ص226.

[2] المرجع نفسه، ص228.

ج–الحجاج البلاغي:و هو الحجاج الذي يتّخذ من البلاغة مجالا ويتّخذها آلية من الآليات الحجاجية، و ذلك لاعتمادها الاستمالة والتّأثير عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا، حتى يتقبّل القضيّة أو الفعل موضوع الخطاب[1].

يقوم هذا النّوع من الحجاج على الآليات البلاغية كالتّشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها، و توفر هذه العناصر البلاغيّة للخطاب الحجاجي جمالية وسحريّة، بها يستطيع المتكلم أن يؤثر في المتلقي.

د–الحجاج الفلسفي:و هو الذي يتخذ من الفلسفة بعدا من أبعاده وآلية من آلياته، فتقاس نجاعته بمعايير خارجيّة كالقوّة والضعف والكفاءة أو عدمها، و النّجاح أو الفشل في الإقناع، و يكون هدفه التّأثير والتّقبل[2].

فمعظم الباحثين يرون أنّ الحجاج يُعدُّ بعدا جوهريا في الفلسفة معرفة أو تفكيرا، و يستبعدون خلو مذهب أو تحليل فلسفي من الحجاج، فالتّفكير الفلسفي عندهم تفكير حجاجي بامتياز.

ح–الحجاج التّداولي:هذا الجانب يركز اهتمامه على الجانب التّداولي في الخطاب إذ أنّ لفظ التّداولية يبعث على استحضار نظرية أفعال الكلام في الخطاب، و رصدها فيه بغرض إقناع المخاطب، بالرّغم من اختلاف الأبعاد التداولية التي تتيح توجيه الخطاب الحجاجي والإجابة عن التّساؤلات والإشكاليات التي تحيط بالعمليّة التّخاطبيّة والحجاجيّة[3].

فالتّداولية هنا تحيلنا على التّحدث على نظرية "افعال الكلام"، و هي الأفعال التي تتصل بتحقيق الإنجاز والحدوث في الاتصال الخطابي بين المتكلم والمستمع، و هذا بغرض إقناع المتلقي.

---

[1] ينظر:هاجر مدقن، مجلة الأثر، آليات تشكل الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، العدد05، 2005م، ص173.

[2] المرجع نفسه، ص174.

[3] المرجع نفسه، ص174.

و من خلال ما سبق يتّضح أنّ الحجاج يتميّز بالتنوع، و ذلك بالنّظر إلى قصد المخاطب المحاجج، بالنّظر إلى قيمة طبيعة الحجج المقدمة.

من خلال أصناف الحجاج التي تطرقنا إليها فالحجاج يشترط استهداف اقناع المحاور أو المتلقي وإحداث أثر لديه ومن ثمة أصبح الحجاج العمليّة التي يتوسل بها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتّصورات لدى مخاطبه بالوسائل القويّة، كما أنّه حوار للوصول إلى الإقتناع دون حمل على الإقناع، وبذلك أضحى الحجاج مطلبا أساسيا في كلّ عمليّة اتصالية تستدعي الإفهام والإقناع، فهو يخترق كلّ الخطابات بدرجات وكيفيات مختلفة.

2-أنواع الحجّة:

الحجّة هي الدليل والبرهان، والحجج هي الأفكار والآراء والسّندات المختلفة التي يتوسلها المخاطب أو الكاتب لكي يقنع الآخرين بوجهة نظره في موضوع ما، واختلفت أنواع وأساليب الحجج، ومن أنواعها نذكر ما يلي:

1-**حجّة التبرير**:و تستخدم في العادة الأداة "بما أنّ". [1]

2-**حجّة الاتجاه**: والغرض من هذه الحجة التّحذير من إنتشار شيء ما وأخذ الحيطة منه، فمثلا إذا تنازلتَ هذه المرّة وُجبَ عليك أن تتنازل أكثر في المرّة القادمة، و الله أعلم أين ستقف بك سياسة التّنازلات هذه؟، فهي تقنية يلجأ إليها المحاجج ويعتمد فيها أسلوب التّحذير، والتخويف من سلسلة التّنازلات التي تؤدي بالمتلقي في النّهاية إلى نتيجة تؤول به من الاستسلام.

[1] الجرجاني، التعريفات، 63.

3–**الحجّة التّواجدية**: فهذه الحجة تبنى على علاقة الشّخص بعمله لقوله ﷺ:"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه": ومعنى هذا أنّ الشّخص المتعلم في جوهره ليس فضوليا فعمل على ترك ما لا يعنيه هذا من حسن إيمانه وإسلامه.

4–**الحجّة الرّمزية**: للرّمز قوة تأثيرية في اعتقاد من يقرون وجود علاقة بين الرّامز والمرموز إليه كدلالة "العلم" على نسبته إلى وطن معيّن والميزان للعدّالة[1]، والهلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام ، والصليب بالنسبة للمسيحية.

5–**حجّة المثل**: وهي التي تقوم على التّمثيل بمثل مسرود ومشهور عادة ما يكون استطرادا والغاية من وجودها تأسيس القاعدة والبرهنة عليها أي حجاج بالصّور البلاغيّة وقياس خطابي [2].

6–**حجة الاستشهاد**:و هي الحجّة التي تكون عادة منتقاة من نصوص معترف بمدى أهميتها، و فعاليتها في التّأثير والإثبات، ومن أمثلة النّصوص في هذه الحجّة:النّص القرآني، السنة النّبوية الشّريفة، أقوال الصحابة والتابعين، أقوال العلماء والحكماء والعقلاء. وغايتها توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذّهن.

مثال:إنّ حكايات كليلة ودمنة مثال جيّد في هذا الإطار فهي تبدأ دائما بتسطير القاعدة قبل سرد أحداث الحكاية التي تأتي لتوضيح تلك القاعدة، فهي تنطلق من قضية عامة إلى حالات خاصة توضّحها وتجليها، ويدخل في المعنى الاستشهاد بالنّصوص ذات القيمة الساطوية على المخاطب كالمقولات الدّينية[3].

[1] صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، منتديات سور الأزبكية، الإصدار الأول، 2008م، ص48.
[2] المرجع نفسه، ص48.
[3] شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، ص230.

7–**حجة المقارنة**:أشارت سامية دريدي إلى أنّها تنتمي إلى حجج شبه منطقيّة، و غالبا ما تقوم على الاحتجاج لشيء ما أو لشخص. . . باعتماد وانتقاء الأفضليّة على طرف ثاني من جنسه أو نوعه[1]. فمثلا حين نقارن شاعرا متوسطا فنقول إنّه دون مكانة المتنبي، فإننا نرفعه بهذا، و لكننا حين نقول عنه أنّه أرفع من شاعر ضعيف فإننا نحطّ من قيمته[2]، فمعيار المقارنة ليس قياسا ثابتا ولا فعلا قابلا للقياس بل شبيه بذلك.

تعددت وتنوعت أنواع الحجّة فلكلّ حجّة ومكانتها في الاستعمال.

3–آليات الحجاج:

اهتمت اللّسانيات والتداوليّة بدراسة الحجاج بالتّركيز على الوسائل اللّغوية والبلاغيّة، باعتبار أنّ كلّ لغة تحتوي في بنياتها على معلومات تتعلّق بالحجاج، فهذه الآليات اللّغوية يعتمدها المتكلم لغرض التّأثير في المخاطب، وتحقيق أهداف حجاجيّة تتمثل في الإقناع، أمّا الآليات البلاغيّة فهي تعدّ من بين الوسائل الحجاجيّة التي تساعد المتكلم في تأدية المعنى، من خلال انتقاء المفردات اللازمة وحسن تنظيمها، ممّا يتيح حمال الأسلوب وتشكيل المعنى لغرض الإبلاغ، فتزيد من قيمة المعاني في الخطاب، فهي تخلق طاقة حجاجيّة في الكلام المجازي الذي يهدف إلى جعل المتلقي يتأثر ويسلّم بفكرة المتكلم، و من أهم الآليات الحجاجيّة نذكر ما يلي:

[1] ينظر:سامية دريدي، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث، تونس2009م، ص123.

[2] شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، ص227.

أولا: الآليات اللّغوية:

1–**الاستفهام**:استعلام ما في ضمير المخاطَب. وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذّهن، فإن كانت تلك الصّورة وُقوع نسبة بين الشّيئين أولا وُقوعها، فحصولها هو التّصديق، و إلاّ فهو التّصور[1].

يرى الباحثون القدامى والمحدثون أنّ الاستفهام من أساليب السّؤال، ويهدفإلى طلب الإفهام تصورا وتصديقا، كما له دورٌ كبير في العمليّة الحجاجيّة، فهو يختص دون بقيّة الأعمال بأداء وظيفة ما ، و ندرك قيمتها بالتّأمل في قيمة العمل الحجاجي في المخاطبات العامة، حيث توصّل الباحثون إلى أنّ قيمة الاستفهام الحجاجيّة تعود إلى أسباب اختصاصه بإنجاز العمل الحجاجي[2]. ومعنى هذا أنّ الاستفهام يحمل افتراضات ضمنيّة تجعله يحمل طاقة حجاجيّة.

و من أدوات الاستفهام:الهمزة، وصل التي تدل عن نسبة ، أمّا ، متى، أين، آنى، أيان، و التي تدل على المفرد.

و من أمثلة الاستفهام نذكر ما يلي:

قال تعالى:﴿ أَكفرتَ بالذي خلقك من تُراب ثم من نُطفة ثُم سواك رجلاً﴾ (الكهف:37).

فالاستفهام هنا مستعمل في التّعجب والإنكار، لأنّ الصّاحب كان يعلم أنّ صاحبه مشرك بدليل قوله تعالى:﴿ ولا أُشركُ بربي أحدا﴾(الكهف:38).

أمّا في قوله تعالى:﴿ هل أتّبعُكَ على أن تُعلّمن ممَّا عُلّمتَ رُشدا﴾(الكهف:66).

سؤال تلطف على وجه الإلزام والإجبار لأنّ هل حرف موضوع لطلب التّصديق الإيجابي دون التّصور ودون التّصديق السّلبي فيمتنع بذلك.

---

[1] الشريف الجرجاني، التعريفات، ص25.

[2] ينظر:ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة السياسية، لابن قتيبة، دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2010/2009م، ص304.

2-**التكرار**:عبارة عن الإتيان بشيء مرّة بعد أخرى[1].

يرى بعض العلماء أنّ التكرار هو الإعادة بالمرادف لتعزيز الحجّة في الرّسالة، التي تساعد على الإقناع، فهو يؤدي إلى تذكير المتلقي باستمرار بالهدف من الرّسالة، و يتمثل حجاج التّكرار في توكيد الحمولة الدّلاليّة لمضاعفة طاقة إقناعها، كما يعدّ وسيلة تنبيهية تسهل تلقّي الخطاب وفهمه، فالتّكرار إذا جاء فإنّما يأتي لتقرير المعنى، فلا طريقة لتفيظ العلوم إلاّ ترديد ما يُرادُ حفظهُ. فمثلا في سورة القصص أكثر الكلمات تكرارا فيها كلمة"موسى" لأنّ السّورة تحكي قصة موسى من ولادته إلى رسالته، كما تليها كلمة "فرعون" لأنّها تحكي قصّة موسى وفرعون.

و يقول الإمام البخاري:سمعت رسول اللهﷺ يقول:" إنّما الأعمال بالنّيات وإنّما لكلّ امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه[2]".

و هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ،و لهذا قال العلماء:مدار الإسلام على حديثين:هما هذا الحديث، وحديث عائشة "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" فالحديث الأول عبارة عن عمدة أعمال القلوب، فهو ميزان الأعمال الباطنة، أمّا حديث عائشة فعمده أعمال الجوارح[3].

و النّية في الحديث مجمله على المعنى اللّغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه أحوال المهاجر، فالنّية عبارة عن انبعاث القلق نحو ما يراه مُوافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضرّ حالا ومآلا[4].

---

[1] الشريف الجرجاني، التعريفات، ص71.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، ج1، ص31.

[3] ينظر:محمد بن صالح العثيمين، شرح الأربعين النّووية، دط، دار الثّرية للنشر، المملكة العربية السعودية، ص18.

[4] ينظر:بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407هـ، 1986م، مجلد01، ص18.

3-**الشّرط**: لغة: عبارة عن العلامة، و منه أشراط السّاعة، و الشّروط في الصلاة، و في الشّريعة:عبارة عمّا يضاف الحكم إليه وُجودا عند وُجوده لا وُجوبا[1]

اصطلاحا:تعليق شيء بشيء بحيث إذا وُجدَ الأول وُجدَ الثاني، و قيل:الشّرط: ما يتوقّف عليه وجود الشَيء ويكون خارجا عن ماهيته، ولا يكون مؤثرا في وُجوده. و قيل:الشّرط:ما يتوقف ثبوت الحكم عليه[2].

في اللّغة العربيّة يقوم الشّرط على أمرين، الشرط وجوابه فأسلوب الشرط يُعدُ سمة للنّص الحجاجي لأنّه يسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، كما يقود الخصم إلى المشاركة في صوغ جوابه بدعم الأطروحة المقترحة بطريقة حتمية، فأسلوب الشرط يقوم على التّلازم الضّروري بين فعل الشّرط وجوابه.

أمثلة على الشرط:

*من يحترم النّاس يحترموه.

*من يذكر الله يذكره.

ففي المثالين المذكورين أعلاه، سنجد أنّ الجملة تنقسم ثلاث ركائز أساسية، و هي: جملة الشرط وأداة الشرط وجملة جواب الشّرط، فلا يحدث الأمر الثّاني إلاّ بعد تحقيق الأمر الأول وهذا هو الشرط.

*من يحترم النّاس يحترموه.

-جملة الشرط:يحترم النّاس

-أداة الشرط:من

[1] الشريف الجرجاني، التعريفات، ص127.

[2]المرجع نفسه، ص127.

-جملة جواب الشرط: يحترموه

*من يذكر الله يذكره.

-جملة الشرط:يذكر الله

-أداة الشرط:من

-جملة جواب الشرط:يذكره

ففي الحديث القدسي في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ:يقول الله تعالى:«أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني. . . وإن تقرَّب إلي شبرا تقرّبتُ إليه ذراعا، وإن تقرَّبَ إلي ذراعا تقرَّبتُ إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيتُه هروَلة».

و(وإن)في الآية حرف شرط، ومعنى الشرط:أنّ حدثين لا يقع الثاني منهما إلا إذا وقع الأول، وهذا المعنى يستفاد من(وإن)الشرطية، تقول:إن تجتهد تنجح، فالنجاح لا يكون إلاّ بعد الإجتهاد، وهذا الحرف يدخل على الأفعال[1]،كقوله تعالى:« إن تنصروا اللهَ ينصُرُكم»(محمد، 7).

2-**التّوكيد**:هو ركن من أركان البناء اللّغوي والبياني التي استعملها القرآن في مجالاته، لإزالة الشبهات والشكوك في ذهن المنكرين، و هو دقيق المأخذ وكثير الفوائد، وأمّا الاسم الذي قبل التّوكيد فيُسمى المؤكد، ويجب أن يكون معرفة، و (التّوكيد تابع للمؤكد، فغرضه تقويّة ة تأكيد حكمه ويأتي في الكلام بالتّوكيد اللّفظي أو المعنوي.

مثال1:إذا قلت "حادثني الوزير" فقد يستعظم السّمع ذلك، لأنّ محادثو الوزراء ليست من الأمور المهينة وربما يتوهّم أنّ الذي حادثك هو وكيله أو رجل آخر من مساعديه، و أنك ذكرت لفظ الوزير

[1] الدكتور محمد راتب النابلسي، تفسير النابلسي، تدبُّر آيات الله في النّفس والكون والحياة، المجلد الخامس، مؤسسة الفرسان للنشر والتّوزيع، ط1-1438هـ، 2017م، ص167.

سهوا، أو قصدت به شخصا آخر ممن أسلفنا، فإذا أردت ألاّ يتسرّب مثل هذا التّوهم إلى ذهن السّامع فاكر كلمة "نفسه" بعد لفظ الوزير، و قل "حادثني الوزير نفسه"على نحو ما في المثال الأول، فإنّك إن فعلت ذلك تأكد المعنى الحقيقي، و لم يبقى هناك مجال للتّوهم، ومن أجل ذلك تسمية كلمة نفسه توكيدا، و يُسمى اللّفظ السّابق لها وهو الوزير مؤكد.

مثال2:الله أكبر، الله أكبر(الله أكبر الثانية: توكيد لفظي للجملة الأولى).

مثال3:لن لن أكذب(لن الثانية:توكيد لفظي للحرف الذي يسبقه).

مثال4:قال تعالى:﴿كلاّ إذا دُكَّت الأرضُ دكّا دكّا وجاء ربُّكَ والمَلَكُ صفّا صفّا﴾(الفجر:21-22).

(دكّا وصفا للثانية:توكيد لفظي لما قبلها وهو توكيد اسما).

التوكيد المعنوي:فهو التابع الذي يؤتى به ليرفع إحتمال السهو أو الخطأ أو التجوز في المتبوع[1].

وهذا النّوع من التوكيد عدّها بعضهم تسعة غير أنّه لم يرد في القرآن إلاّ سبعة منها وهي:

النّفس أو العين أو كلّ جميع أو عامة أو كلا أو كلتا.

مثال للتوكيد:ب(كل. . . وبالجميع. . .)

وغالبا يأتي هذا النّوع من التوكيد لما يقتضي المقام توكيد العموم وإزالة الشّك والاحتمال عند فيستخدم القرآن الكريم ما هو مناسب لذلك من ألفاظ العموم وهي:كل، جميع، عامة، من ذلك قوله تعالى:«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكونُ الدّين كلّه لله» ولولا حطنا سياق قوله تعالى هنا لوجدنا أنّ المقام يقتضي توكيد لفظة"الدين" توكيدا معنويا بلفظة "كلّ" لأنّ القتال يشمل جميع الكفار، فالقتال

[1] دكتور عبد الله بن حامد كمبيجو، الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة الجامعية أم القرى، التوكيد في القرآن الكريم دراسة تطبيقية، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة بنها، العدد الرابع والعشرون، يناير 2011, ص393.

هنا عام فلذلك اقتضى توكيد لفظة"الدّين" فقال سبحانه "كله" فجاء سبحانه بلفظة"كله" الدّالة على الشمول لأنّ المقام اقتضاها[1].

ثانيا:الآليات البلاغية:

يعتمد الحجاج على الصور البلاغية كذلك مثل:

1-**الاستعارة**:عرّف الجرجاني الاستعارة بقوله:اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللّغوي معروفا تدّل الشّواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقل غير لازم فيكون هناك كالعارية[3]".

الاستعارة هي إحدى أبرز صور المجاز وأكثرها قدرة على التّأثير، فهي عبارة عن بيان وتوضيح أو معرفة ورؤية أو تعيين عن الذّات، و اعتبر الجرجاني حجاجية الاستعارة قائمة على مفهوم الادعاء فهي حركة في المعاني والدّلالات، و ليست حركة في الألفاظ، و لا بديعا بل هي طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم على الادعاء. [4]و مثال ذلك:

قوله تعالى:﴿ لقد سمعَ الله قولَ الذين قالوا إنَّ اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ سنكتُبُ ما قالوا وقتلَهمُ الأنبياءُ بغير حقّ ونقولُ ذوُقوا عذابَ الحريق﴾(آل عمران:181).

تتحدث الآية عن الكفار الذّين يسخرون من الله وهم اليهود، و يفتخرون بكثرة أموالهم، و يقتلون الأنبياء، فأرسل الله سبحانه وتعالى حجّته التي هي(سنكتب ما قتلوا من الأنبياء)، كما أضاف حجّة وظفت فيها استعارة:(ذوقوا عذاب الحريق) حيث شبه فيها الله تعالى العذاب وهو المستعار له، بالطّعام

[1] دكتور عبد الله بن حامد كمبيجو، التوكيد في القرآن الكريم دراسة تطبيقية، ص393.
[2] المرجع نفسه، ص393.
[3] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت ع، محمود محمد شاكر، د ط، دار المداني، جدّة، ص30.
[4] ينظر:أحمد أبو زيد، الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد4، ماي 1991، ص46-47.

المحسوس الذي يتذوقوه ويأكله النّاس وهو المستعار منه، فحذف هذا الأخير، و ترك أحد لوازمه الذي يدّل عليه وهو المستعار(ذوقوا) وتمثل هذه الاستعارة استعارة مكنيّة، فمن خلال هذه الآية يبيّن الله سبحانه وتعالى أنّ الكفار سيذوقون مرارة العذاب كتذوقهم الطّعام، فعبارة(ذوقوا عذاب الحريق)تحمل قصدا موجها للكفار الذي يتمثل في وعدهم بعذاب النّار في اليوم الآخر.

أمّا في الحديث الشريف فقد جاء في "المثل السّائر"قولهﷺ:«لا تستضيئوا بنار المشركين[1]».

فالرّسول ﷺ من خلال هذا الحديث استعار النّار للرّأي والمشورة، فحذف المستعار له وهو الرّأي والمشورة واستعارة بصفة النّار، أي لا تهتدوا برأي المشركين، و قد كان متقنا في اختياره لهذه اللّفظة، من أجل إيصال رسالته إلى قومه بأن لا يأخذوا بمشورة الكافرين.

قوله ﷺ:«لا تستضيئوا بنار المشركين».

فاستعار(النار) للرأي والمشورة، أي لا تهتدوا برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم.

فرأي المشركين أمر معنوي يدرك بالعقل وتمثيله بالنّار هو إظهار له في صورة محسة مخيفة يبدوا فيها رأي المشركين نارا تحرق كلّ ما يلامسها أو يأخذ بها.

فالسّر في قوّة تأثير هذه الصّورة وجمالها راجع إلى مفعول الاستعارة، هذا المفعول الذي انتقل بالفكرة من عالم المعاني إلى عالم المدركات مبالغة.

2- التشبيه:

*لغة:الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ، فالأمر الأول هو المشبه، و الثاني هو المشبه به، وذلك المعنى هو وجه التشبيه، ولا بد فيه من آلة التّشبيه، و غرضه، و المشبّه [2].

[1] ابن الأثير،المثل السائر، ص97.

[2]الشريف الجرجاني، التعريفات، ص63-64.

*اصطلاحا:هو الدّلالة على اشراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشّجاعة في الأشد، والنّور في الشّمس، وهو إمّا تشبيه مفرد، كقولهﷺ:"إنّ مثل ما بعثني به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا" [1]. حيث شبّه العلم بالغيث، و ما ينتفع به بالأرض الطّيبة ومن لا ينتفع به بالقيعان، فهي تشبيهات مجتمعة أو تشبيه مركب، كقوله ﷺ:«إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة[2]».

فهذا هو تشبيه المجموع بالمجموع، لأنّ وجه الشّبه عقليٌ منتزعٌ من عدة أمور، فيكون أمر النّبوة في مقابلة البنيان.

3-الكناية:

لغة:من الفعل ك ن ي- وهو أن تتكلّم بشيء وتريده به غيره وقد(كنيت بكذا عن كذا و(كَنَوتُ) أيضا فيهما. [3]

اصطلاحا:كلامٌ استتر المراد منه بالاستعمال، و إن كان معناه ظاهرا في اللّغة، سواء كان المراد به الحقيقة أم المجاز فيكون تردد فيما أُريد به، فلا بدّ من النّية أو ما يقوم مقامها من دلالة الحال، كحال مُذاكرة الطّلاق ليزول التّردد ويتعيّن ما أُريد منهُ، والكناية عند علماء البيان:هي أن يعبّر عن شيء لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدّلالة عليه لغرض من الأغراض، كالإبهام على السّامع نحو:"جاء فلان" أو لنوع فصاحة، نحو:"فُلانٌ كثير القرى[4]". والقرى: ما يقدّم إلى الضيف.

و الكناية لفظ أطلق لمعنى وقُصد به لازم معناه.

---

[1]الشريف الجرجاني ، التعريفات، ص64.

[2]المرجع نفسه، ص64.

[3]الإمام الرّازي، مختار الصحاح، دار الفكر العربي، بيروت، ط1-1997، ص254.

[4]الشريف الجرجاني، التعريفات، ص184.

4-التّمثيل:إثبات حكم واحد في جزئيّ لثبوته في جزئيّ آخر لمعنى مشترك بينهما، و الفقهاء يسمونه قياسا، و الجزئيُّ الأولُ فرعا، والثّاني أصلا، و المشترك علّة وجامعا، كما يقال:«العالم مؤلف، فهو حادث كالبيت». يعني البيت حادثٌ، لأنّه مؤلفٌ، و هذه العلّة موجودة في العال، فيكون حادثا[1].

و قد جاء في كتاب المثل السّائر:«وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التّشبيه والتّمثيل، و جعلوا لهذا بابا منفردا ولهذا بابا منفردا، وهما شيءٌ واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال شبّهتُ هذا بهذا كما يُقال مثّلته به [2].فالفرق هنا بين التّشبيه والتّمثيل:

فالتّشبيه في اللّغة:التمثيل، تقول شبّهته إياه وشبهته به تشبيها:مثلته[3] فاللّغة-كما رأينا-لا تفرّق بين التّشبيه والتّمثيل.

وقد تعلّق ابن الأثير بهذا النّص اللّغوي فعاب على البلغاء هذه التّفرقة فنراه يقول:وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التّشبيه والتّمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال شبهت هذا الشّيء، بهذا الشّيء كما يّقال:مثلته به، وما أعلم كيف خفى ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه. [4]

وما عابه ابن الأثير ليس بعيب، واتحاد التّشبيه والتّمثيل في أصل الوضع لا يخفى على العلماء، ولكن المعروف أنّه يوجد فرق دائما بين العرف اللّغوي والاصطلاحي.

والزّمخشري لا يفرّق بينهما كذلك، فالتّشبيه عنده مرادف للتمثيل[5].

---

[1]الشريف الجرجاني، التعريفات ، ص72.

[2]ابن الأثير:المثل السائر، ص110.

[3]علي الجنري، فن التّشبيه بلاغة، أدب نقد، الجزء الأول، كلية دار العلوم، جامعة فؤاد الأول، ط1952/1، مكتبة نهضة مصر، ص29.

[4] المرجع نفسه، ص29.

[5] المرجع نفسه، ص29.

ويرى عبد القاهر:أنّ التّشبيه عام والتّمثيل أخص منه، فكلّ تمثيل تشبيه وليس كلّ تشبيه تمثيلا، وكلّ مالا يصح أن يسمى تمثيلا فلفظ المثل لا يستعمل فيه أيضا.

كما يرى"بيرلمان" أيضا أنّ التّمثيل مهمّ في العمليّة الحجاجيّة، يقول:"هو طريقة حجاجيّة تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التّمثيل بعلاقة المشابهة دائما، و إنّما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة [1].

و مثال ذلك عن التّمثيل نجد قوله ﷺ حيث قال:«ترى المؤمنين، في تراحُمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثَل الجَسَد إذا اشتكى منهُ عُضوٌ تداعىَ سَائرُ جسَده بالسَّهَر والحُمّى [2]».

و معنى هذا الحديث أنّ الرّسول ﷺ عقد مماثلة بين ترابط المسلمين والجسد، فمثّل ترابط المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم بترابطهم الجسم الواحد.

ممّا سبق نستنتج أنّ الحجاج يعتمد الآليات اللّغوية والآليات البلاغية، فالبلاغة تعدُ آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الإستمالة، والتّأثير عن طريق الحجاج بالصّورة البيانية الجمالية:أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معا حتى يتقبل قضية ما.

[1] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص94.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، تأليف شمس الدين محمد بن ناصر القيسي الدّمشقي، ط، دار قرطبة، للطباعةوالنشر، بيروت-لبنان، د ت، ج2، ص566.

الفصل الثاني:الحجاج في تفسير ابن عاشور لسورة التوبة

المبحث الأول:شخصية ابن عاشور ومنهجه في التفسير

المبحث الثاني:سورة التوبة وتفسير ابن عاشور

المبحث الثالث:آليات الحجاج في تفسير السورة

1-الحجاج بالتاريخ

2- الحجاج بالمنطق والجدل

3-الحجاج باللغة

المبحث الأول: شخصية ابن عاشور ومنهجه في التّفسير

ينحدر محمد الطّاهر ابن عاشور، من أسرة عرفت بالعلم، وقد قيّضت نفسها لخدمته بحثا وتحقيقا ودراسة، نشأت أسرة آل عاشور وترعرعت في الأندلس أيام الحكم الإسلامي فيها. . . ولما استحال العيش، هناك، بعد سقوط الحكم الإسلامي، واضطهاد النّصارى المسلمين لتصفية العنصر العربي" ممّا جعلها تقفل إلى بلاد المغرب خوفا على حياتها ودينها ذلك أنّ آل بيت ابن عاشور أصلهم من الأندلس، خرج منها جدّهم فارا إلى "سلا" من بلدان المغرب، ومنها انتقل إلى حاضرة تونس وبها استقر[1]

1-مولده ونشأته:

هو محمد الطّاهر بن محمد بن محمد الطّاهر بن عاشور، ولد سنة(1296هـ/1879م) في قصر جدّه للأم بضاحية المرسى في شمال تونس سنة 1879م، فكان حظّه الإقامة في القسم الخاص به، ولحبّه إيّاه كان كلّما غيّر مسكنه في هذه المدينة أو تلك صاحبه معه، أمّا جدّه الوزير محمد العزيز بوعتور، فهو رجل ذو علم وثقافة، وقد استفاد منه ابن عاشور، وكان يذكره كلّما دعت المناسبة في أثناء تفسيره الآيات(2). أبوه محمد ابن عاشور، وأمه فاطمة بنت محمد العزير بوعتور الوزير في عهد علي باي، حفظ القرآن وعمره لا يتجاوز الست سنوات في عام 1302هـ. وبدأ يتلقى دروسه في اللّغة العربيّة ومبادئ الشريعة الإسلامية في مسجد أبي حديد، وهناك بدأت تظهر عليه علامات الذّكاء وسرعة الحفظ، وظهر نبوغه أكثر بدخوله طالبا في جامع الزّيتونة، فاكتسب أبجديات المعرفة ممثلة في القراءة والكتابة في فترة وجيزة، والدربة على الحفظ، ومراودة الذّاكرة على فهم الحقائق، وتخزين الكم الهائل من

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص20.

المعارف والعلوم. وكلّ هذا الذّكاء الحاد جعله يتحصل على شهادة التّطويع من جامع الزّيتونة، ونال أحسن الدّرجات في كلّ المواد[1].

2-شيوخه:

تتلمذ محمد الطاهر بن عاشور على يد مجموعة من المشايخ والأعلام، حيث تظافرت جهودهم لتكوينه التّكوين العلمي الصّحيح. وقد ذكر محمد الحبيب بن الخوجة بعض شيوخه فقال:« فقد تخرّج بعد حفظه القرآن الكريم حفظا مُتقنا على أساتذة من جامع الزّيتونة الأعظم، كان منها المشائخ الجلّة، أعلام الفقه والبيان ورجال الشّريعة وأئمة لغة الضّاد:محمّد النّجار، ومحمد النّخلي، وعمر ابن عاشور، وصالح الشّريف[2]».

ويضاف إلى هؤلاء الأعلام الكرام الأساتذة والمشائخ:« الشّيخ محمد الشّيخ، الشيخ صالح الشّاهد، والشّيخ أحمد جمال الدّين، الشّيخ أحمد بن بدر الكافي والأساتذة أحمد وناس المحمود.

ومن هؤلاء الذّين أخذ عنهم ابن عاشور وتأثر بهم، وبدا ذلك في منهجه الثّوري الاصطلاحي، أستاذه "سالم أبو حاجب" وعن هذا الأثر الذي تركه في ابن عاشور يقول صديقه وقرينه الشّيخ محمد الخضر حسين "شب الأستاذ على ذكاء فائق، وألمعيّة وقادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم، ولما كان بيني وبينه من الصّداقة النّادرة المثال، كنّا نحضر دروس بعض الأساتذة جنبا لجنب، مثل درس الأستاذ الشّيخ سالم أبو حاجب لشرح العسقلاني على البخاري، والأستاذ عمر ابن الشّيخ، لتفسير البيضاوي، ودرس الشيّخ محمد النّجار لكتاب المواقف. وكنت أرى شدّة حرصه على العلم ودقّة نظره متجليتين في لحظاته وبحوثه. [3]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص20-21.
[2] المرجع نفسه ، ص21.
[3] المرجع نفسه، ص22.

وهؤلاء الأعلام والمشايخ، اجتمعوا ليكونّوا من ابن عاشور فقيه شريعة وفيلسوف قانون، وعلاّمة في لغة الضّاد وما اتّصل بها من خفايا، فقد عاش حياته الفكريّة والثّقافية وهو من أبناء القرن وليس من مواليده فحسب، وتجّلى ذلك في تصوّره العميق حين دعا إلى إصلاح جامع الزّيتونة.

فالنّبوغ والموهبة يجب أن يتوفّر لهما الجو الملائم والحياة اللائقة والتّوجيه السّديد، فكلّها كانت متوفرة عند محمد الطّاهر ابن عاشور، فكان الجد للأم عالما وفقيها ووزيرا، وكان الجد للأب فقيها وأديبا وشاعرا، وكان جامع الزّيتونة آية من آيات الإشراف، بعلمائه ومفكريه.

حاز محمد الطاهر بن عاشور على يد هؤلاء الأعلام، وفي ذلك المسجد العامر على شهادة التطوّع سنة 1899م، وأقبل على التّدريس بالجامع الأعظم وبالصادقيّة، فتخرجت على يديه أجيال متلاحقة كثيرة من الطّلاب، أقرت كلّها بضلاعته العلميّة ومعرفته الواسعة، وأفادت منه أدبا ورأيا وعلما وجميل أخلاق وصفات، يقول الحبيب ابن خوجة:" وقد تولى-رحمه الله- أثناء تلك المدة الطّويلة تدريس اللّغة العربيّة والبيان وأصول الفقه ومقاصد الشّريعة والحديث والتّفسير". [1]

فالمنهج الزّيتوني في التّعليم كان يجمع بين الغاية والوسيلة، بين النّص القرآني والحديث النّبوي الشريف. فالوسيلة عن طريقها تحديد الفكرة وتحليلها ثم انتشارها، وأمّا البيان فقد استوعبه وألّم به، ممّا جعله يخصص له التّفسير كلّه، فاعتمد المنهج البلاغي يبحث به عن الدّلالات في التّراكيب.

وأمّا أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية، فكتاب مقاصد الشّريعة الإسلاميّة يُعدّ من أهم الكتب التي تناولت فلسفة الشريعة الإسلامية، وتزداد أهمية الكتاب عندما تعرف أنّ عاشور هو الذي أحيا هذا العلم، كما يُعدّ كتاب "أصول النّظام الاجتماعي في الإسلام" إحياء لدرس المقاصد الشّرعية

[1] الطاهر بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص23.

والتي بها تتضح قيمه الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع. وفي إقامة الدّولة الإسلامية المبنيّة على المساواة والحريّة والعدل والدّيمقراطية.

وأمّا تدريسه الحديث النّبوي الشّريف فكانت له آراء أصيلة مبنية على خلفية ثقافية عميقة في الموضوع، ممّا جعله يستدرك على شراح الأحاديث تارة ويستنبط من نظم الحديث ما فات غيره، وتجلّى هذا التّميّز والتّفرد في كتابه "كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ [1]".

وإلى جانب تأليف الكتب اشتغل محمد الطّاهر ابن عاشور بتأليف الرّجال، فقد تخرّج عليه أعلام كثيرون كالإمام عبد الحميد بن باديس باعث النّهضة الجزائريّة، والشّيخ البشير الإبراهيمي، وابنه الفاضل محمد الفاضل، وأعلام كثيرون في مختلف أقطار المغرب العربي.

اشتغل ابن عاشور في سلك القضاء وقد كان لسماحته نشاط ملحوظ في مختلف الخطط التي وليها منذ انخراطه في هيأة القضاء سنة 1911. . . فقد ولي ابن عاشور حطّة قاضي القضاة المالكيّة سنة1913م، وسُمي مُفتيا مالكيا سنة1923م، ونائب باش مُفتي سنة1925، وباش مُفتي سنة1927، ومستشار الحكومة في الشّؤون الدّينيّة وشيخ الإسلام المالكي سنة1932". [2]

وقد تدرّج في وظائفه السّامية إلى أن صار شيخا لجامع الزّيتونة فقد عُيّن نائبا أول عن الحكومة لدى نظارة الجامع سنة 1907، وأصبح عضوا في هذه النّظارة منذ سنة 1913، وسُميَ شيخا لجامع الزّيتونة سنة 1932، واستقال من منصبه هذا بعد سنتين، ورجع لرئاسة المشيخة من سنة 1944 إلى سنة 1951م، وعاد لمباشرة الخطة في عهد الاستقلال من سنة 1956 إلى 1960م، وهو تاريخ ظهور

[1] االطاهر بن عاشور، لمقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير ، ص24.
[2]. المرجع نفسه، ص26.

الأمر المؤسس للجامعة التّونسيّة التي أصبحت الكليّة الزّيتونيّة للشريعة وأصول الدّين إحدى خلاياها(أمر 31مارس 1960) فقلّد منصب عمادتها ابنه المرحوم محمد الفاضل بن عاشور[1].

ابن عاشور كان يتطلع إلى إصلاح جامع الزّيتونة انطلاقا من منهجيّة التعليم فيه، وكان يقف موقفا معاكسا، ويجد موقفه هذا في نفوس الطّلبة، فيضربون عن الدّراسة تعبيرا عن استيائهم من المنهج المتبع في التّدريس، وكانت النّتيجة لفكرة الإصلاح التي دعا إليها أستاذهم ابن عاشور أنّ استقبال الوزير الأكبر خليل بوحاجب، ثم استقال شيخ الإسلام أحمد بيرم، ثم عيّن ابن عاشور شيخا للجامع الأعظم وفروعه.

فقد اجتمعت في الإمام ابن عاشور صفات العالم ومميّزات المصطلح، وقد تجلت عبقريته حين أبداها في الوقت الحرج كما قال الإبراهيمي، فأصبح جامع الزّيتونة بمنهجه السديد، الجامع بين علوم النّقل وعلوم العقل. ومع ذلك لم يبق ابن عاشور شيخا لجامع الزّيتونة سوى سنة أو أقل، فاعتزل المشيخة لظروف عكرت عليه صفو العمل. وقد كانت لابن عاشور مواقف تفرّد بها في حياته، فقد كان السّباق دائما إلى الحفاظ على بيضة الإسلام، وحرمة اللّغة العربيّة. وحسبه في ذلك أن يكون أول من يحاضر باللّغة العربيّة في تونس على الإطلاق[2].

وهكذا قضى ابن عاشور عمره كلّه خادما للعلم: معلما، ومحققا، وشارحا، وكان كذلك إلى آخر نفس من حياته، وقد وافته المنيّة يوم الأحد 03 رجب 1393هـ/12 أوت 1973م وقد رثاه عليا لنيفر بقصيدة طويلة نُقشت على ضريحة مطلعها:

ثم أصاب الدّين في بنيانه ما أن يسدّ إلى انقضاء زمانه
علمٌ تقوّض وانطفت أنواره من بعدما سامى السهى بمكانه

[1]. بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص26.
[2]. المرجع نفسه، ص30.

كانت له تعشو العيون ويهتدي بهداه محتار إلى إتقانه

شيخ المعارف قطبهنّ أكنّ في بطن الثّرى لابل مضى لجنانه

تفسير آيات الكتاب مبرهن عنه بما يحويه من تبيانه[1]

3-**مؤلفاته:**

أولا: مؤلفاته في علوم الشّريعة:

1-آراء اجتهاديّة، مخطوط.

2-أصول التّقدم في الإسلام، مخطوط.

3-أصول النّظام الاجتماعي في الإسلام، مطبوع.

4-أمالي على مختصر خليل، مخطوط.

5-تحقيقات وأنظار في القرآن والسّنة، طبع.

6-تعليقات وتحقيقات على شرح حديث أم زرع.

7-تفسير التّحرير والتّنوير أجلّ ما كتب ابن عاشور.

8-حاشية التّوضيح والتّصحيح على تنقيح القرافي، طبع. [2]

9-رسالة طعام رسول الله ﷺ.

10-رسالة طهارة النّسب النّبوي.

11-رسالة في حكم لبس المسلم القبعة وأكل ذبائح النّصارى.

12-رسالة القدرة والتّقدير.

13-قصّة المولد مطبوع، كشف الذعرات بوصف الشّعراء للفاضل ابن عاشور، وأربع قصائد في مدح الرّسول ﷺ، كلّها مطبوعة في كتاب،

14-كتاب النّقد على كتاب الشّيخ علي عبد الرازق المصري، الإسلام وأصول الحكم.

15-كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، طبع. وهو كتاب نفيس استدرك فيه ابن عاشور على شُرّاح الموطأ، وقدّم بانبهام المعاني وأحرى درس فيها الأحاديث من وجهة لغويّة دلاليّة".

[1] بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص33.

16-مجموع فتاوي، لم يُطبع.

17-مجموعة مسائل فقهيّة " تكثر الحاجة إليها ويعول في الأحكام عليها"، مخطوط[1].

18-مجموعة مكتبيّة في النّوازل الشّرعية، لم يُطبع.

19-مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، مطبوع.

20-النّظر الفسيح على مشكل الجامع الصّحيح، أي صحيح البخاري، طبع.

21-الوقف وآثاره في الإسلام، مطبوع.

22-سيرة الرّسول ﷺ، مطبوع بتونس.

ثانيا:مؤلفاته في علوم العربيّة:

1-أصول الإنشاء والخطابة، مطبوع.

2-الإيجاز على دلائل الإعجاز، مخطوط.

3-تحقيق وتصحيح وتعليق عل كتاب الاقتضاب لابن السّيد البطليوسي، مع شرح كتاب أدب الكاتب، مخطوط.

4-تحقيق وتعليق على كتاب مقدمة في النّحو المنسوب إلى خلف الأحمر، مخطوط.

5-تعليق على المطول، وحاشية السلكوني، مخطوط.

6-ديوان بشار بن برد "جمعه وشرحه وأتمّه وعلق عليه"، مطبوع.

7-ديوان الحماسة "شرح قطع منه"، مخطوط،

8-ديوان سجيم"جمع وتكميل وشرح"، مخطوط.

9-ديوان النابغة الذّبياني تحقيق، طبع في تونس، 1976،

10-سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النّحوي، تحقيق، طبع في تونس.

11-شرح القرشي على ديوان المتنبي، حققه ولم يطبع.

12-شرح قصيدة الأعشى في مدح المحلق.

13-شرح معلقة امرئالقيس، مخطوط.

14-شرح مقدمة المرزوقي لشرح ديوان الحماسة لأبي تمام، طبع بتونس، 1958.

15-شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.

[1] بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص34.

16-غرائب الاستعمال.

17-مراجعات تتعلّق بكتاب معجز أحمد، مخطوط.

18-موجز البلاغة.

19-الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني، تحقيق ابن عاشور، ط2، دار العرب، تونس، 1986. [1]

ثالثا:مؤلفات أخرى:

1-أليس الصّبح بقريب:ويتناول وضع التّعليم بجامع الزّيتونة، ويقترح الحلول المناسبة، طبع بتونس.

2-تاريخ العرب قبل الإسلام.

3-تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للحكم ابن زهر، مخطوط.

4-رسالة في إصلاح التّعليم في الجامع المعمور وخطاب شيخه المبرر.

5-مشروع قلائد العقيان للفتح ابن خاقان على شرح ابن زاكور، مطبوع.

6-فهرس في التّعريف بعلماء أعلام، مخطوط.

7-منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم الأطراف.

8-هدية الأريب لأصدق حبيب. [2]

ونشر كثيرا من البحوث والمقالات في الصّحف التّونسية وخصوصا المجلة الزّيتونيّة، ونشرت له كثير من الصّحف والمجلات الشّرقية، تقرأ له في مصباح الشّرق ومجلة المنار، ومجلة الهداية الإسلامية، ومجلة هدى الإسلام، ومجلة نور الإسلام، ومجلة مجمع اللّغة العربية وكلّها بالقاهرة، كما نشرت له مجلّة الهداية الإسلاميّة ببغداد، ومجلة المجمع العلمي بدمشق، وقد كان عضوا مراسلا بالمجمعين مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة من سنة 1950م وبالمجمع العلمي بدمشق من سنة 1955م. [3]

[1] ابن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص37.

[2]. المرجع نفسه، ص37.

[3] المرجع نفسه، ص30-31.

هذه مؤلفات ابن عاشور التي استطعنا حصرها، وقد تنوعت بين الدّراسات المتخصصة في الشّريعة الإسلامية والدّراسات اللّغوية والأدبية، بين شرح وتحقيق وتعليق، فهي تدلّ على غزارة علم ابن عاشور وتبحره، ومساهمته بمقالاته في المجلات العربيّة داخل تونس وخارجها، وأهمّ هذه المؤلفات وأضخمها شكلا ومضمونا "تفسير التّحرير والتّنوير"، ويقع هذا السّفر الضّخم في خمسة عشر مجلدا، وطبع مرتين: أمّا الأولى فقد كانت في سنوات متفرقة، وأما الطبعة الثانيّة فهي المعتمدة في دراستنا، وهي طبعة فاخرة.

وابن عاشور سمَى تفسيره بـ "تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ثم اختصر هدا الاسم باسم " التحرير والتنوير من التّفسير[1]".

ثم قدّم العلم على المنهج وعنونه بـ"تفسير التّحرير والتّنوير" ويُعد هذا الأخير دائرة معارف متخصصة في علوم الشّريعة وعلوم اللّغة، فإذا رجعنا إلى ثقافة الطّاهر ابن عاشور، فإنّنا لا نجدها تتجلّى في العدد الضّخم من الأساتذة والشّيوخ الذين تتلمذ لهم بالقدر الذي نجدها متجلّية في تفسيره، ومنه عرفنا ثقافته الأجنبيّة القديمة بأساطيرها وحكاياتها ومسرحياتها ومنطقها وجدلها. . . وأمّا ثقافته الدّينية فتمثلها الكتب السماوية(التوراة والإنجيل) يحدثك عن التوراة والإنجيل، حديث العالم المتمكنّة منها. . . فكان بذلك مؤسسا لمنهج جديد في التّفسير يدعم النّص النّظر.

أمّا اللّغة العربية فهو الذّواقة لنصوصها الجميلة، ويرى بعضها ضربا من ضروب أساليب القرآن، ممّا جعله يؤيّد بها مذهبه في تفسير الألفاظ وتقريب المعاني المتضمّنة في التّراكيب.

أمّا شواهد النّحو فهي التي تعرض نفسها عليه متزاحمة، ومع ذلك لا يعجز، كما كان يثني الثّناء الحسن على من أحسن منهم صنعا.

[1] بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص38.

وابن عاشور عالمٌ من علماء السّنة الشّريفة، ذبّ عنها وخدمها خدمة العالم الواقف على ثغر من ثغور الإسلام، وتجلّى دفاعه واهتمامه في تفسيره، وبدا خاصة في المؤلفات التي خصصها للسّنة النّبوية الشّريفة والسّيطرة العطرة. وكل ما سبق ذكره من ثقافة ابن عاشور، جعله يوظف في تفسيره القرآن الكريم أحسن توظيف.

4-منهجه في التّفسير:

الطريقة التي يعتمد مؤلفه فيه أن يذكر مقطعا من السورة، ثم يشرع في تفسيره مبتدئا بذكر المناسبة، ثم اللّغويات، ثم التفسير الإجمالي مضمنا إياه الجمال البلاغي، ومناقشا لآراء العلماء ما بين مؤيد ومرجح ومعارض، منفردا برأيه، معتمدا به في كثير من الأحيان، باعتباره أنّه تفرّد بهذا الرأي، وخرج عن قاعدة قعّدها من البلاغيين والنحويين. . . كلّ هذا يعرضه بطريقة فلسفيّة ومنطقيّة، وهذا يعود لتأثره بهذين العلمين، ونجده قد اهتم بالأخبار التّاريخية، وكان يختتم المقطع بذكر القراءات المختلفة بشكل عابر في أغلبها، كما أنّه يقدّم عرضا تفصيليّا لما في السورة، ويتحدث عن ارتباط آياتها، إضافة إلى مقارناته بيم مواطن الآيات وخاصة يسند كلّ رأي لصاحبه سواء بالمعنى أو النّص كما هو، إضافة إلى تحريه صدق المعلومة حتى عند غيره، ويشير إليها في كتاب صاحبها، وما أكثر هذا في أبيات الشّعر. [1]

وكتابه "تفسير التّحرير والتّنوير" يعتبر في الجملة تفسيرا بلاغيا بيانيّا لغويّا عقلانيّا، يعتمد فيه على تحليله العقلي، ولا يغفل المأثور ويهتم به.

وقد اعتمد ابن عاشور في تفسيره للقرآن الكريم على عدّة نقاط أهمّها:

[1] ينظر:رانية جهاد اسماعيل الشوبكي، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة في ضوء تفسيره التحرير والتنوير"المعاني والبديع"، الجامعة الإسلامية-غزة، الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم اللّغة العربية، قدم هذا البحث للحصول على درجة الماجيستير في البلاغة العربية، 1430هـ، 2009م، ص17-18.

1-**خطته في تفسير السور:**

يتناول ابن عاشور تفسير القرآن سورة سورة حسب ترتيبها في المصحف، وقبل أن يشرع في تفسيرها يجعل لكلّ سورة مقدمة يذكر فيها اسم السورة وسبب تسميتها بهذا الاسم، ثم ترتيبها في النّزول وأسباب نزولها على وجه الإجمال، أمّا نزول الآيات منها إن نزلت بسبب فيتناوله عن تفسيرها، ثم يذكر عدد آيات السورة، ثم إذا كانت السورة مكيّة أو مدنيّة، وأخيرا أهم الأغراض التي تحتويها[1].

أ-**ذكر اسم السورة وسبب هذه التسمية:**

وذكر عن سبب تسميّة سورة "النساء" بهذا الاسم: سميت هذه السورة في كلام السّلف سورة النساء، ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت:« ما نزلت سورة البقرة وسورة النساء إلاّ وأنا عنده». وكذلك سميّت في المصاحف وكُتُب السّنة وكُتُب التّفسير، ولا يعرف لها اسم آخر. ووجه تسميتها بإضافة إلى النساء أنّها افتتحت بأحكام صلة الرّحم، ثم بأحكام تخصّ النّساء، وأنّ فيها أحكاما كثيرة في أحكام النّساء، والأزواج، والبنات، وختمت بأحكام تخصّ النّساء».

ب-**ترتيب النّزول:**

قال عن سورة النّازعات:« هي معدودة الحادية والثمانين في ترتيب النّزول نزلت بعد سورة النّبأ، وقبل سورة الانفطار».

وفي سورة المائدة. . . قال:«روى أبي حاتم عن مقاتل أنّ آية ﴿يا أيّها الذّين آمنوا ليبلونّكم الله بشيء منَ-إلى-عذابٌ أليمٌ﴾ نزلت عام الحديبيّة فلعلّ ذلك الباحث للذّين قالوا:إنّ سورة العقود نزلت

[1]أحمد صقر، منهج الإمام ابن عاشور في التفسير "التّحرير والتّنوير"، دار المصرية للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ ، 2001م، ص43.

عام الحديبيّة، وليس وجود تلك الآية في هذه السّورة بمُقتضى أن يكون ابتداء نزول السّورة سابقا على نُزول الآية، إذ قد تلتحق الآية بسورة متأخرة عنها. [1]

ج-أسباب النّزول:

وذكره لها مقدمة كلّ سورة كان على سبيل الإجمال كما سبق، وفي تفسيره للآيات يذكر سبب نزول الآية إن كانت قد نزلت بسبب. قال في أسباب نزول سورة آل عمران:« وذكر الواحدي في أسباب النّزول عن المفسرين: إنّ أول هذه السّورة إلى قوله:﴿ ونحنُ له مسلمون﴾ نزل بسبب نجران، وهو وفد السّيد والعاقب، أي سنة اثنتين من الهجرة، ومن العلماء من قالوا:نزلت سورة آل عمران بعد سورة الأنفال، وكان نزولها في وقعة أحد، أي شوال سنة ثلاث، وهذا أقرب». [2]

د-أغراض السورة:

وذلك ما يختتم به مقدمة كلّ سورة، مُفصلا القول في أغراضها، مُبيّنا ما تحمله من وعد ووعيد، وإنذار وبشرى، أو نفي وتوبيخ، أو إثبات وتأييد. وقال عن سورة الحجر:« افتتحت بالحروف المقطعة التي فيها تعريض بالتّحدي بإعجاز القرآن وعلى التّنويه بفضل القرآن وهديه، وإنذار للمشركين بندم يندمونه على قدم اسلامهم، وتوبيخهم بأنّهم شغلهم عن الهدى انغماسهم في شهواتهم، وإنذارهم بالهلاك عند حلول إبّان الوعيد الذي عيّنة الله في علمه. . . »[3].

[1] أحمد صقر، منهج الإمام ابن عاشور في التّفسير "التحرير والتنوير"، ص44.
[2] المرجع نفسه، ص46.
[3] المرجع نفسه، ص46.

2-التّفسير بالحديث النّبوي:

شغل الحديث النبوي مكانة كبيرة في التحرير والتنوير، وأخذ أشكالا عديدة في الإسناد والمتن، كما تعددت مصادره، وكان أكثرها شيوعا صحيح البخاري، وصحيح مسلم يليهما موطأ الإمام مالك.

يقول الإمام الشاطبي عن دور السنة في بيان مقاصد القرآن الكريم:« السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه». [1]

والتّفسير بالحديث النبوي كان له دور بارز في التّحرير والتنوير استعان به ابن عاشور في مواطن كثيرة من تفسيره، وقد رأينا في صفحات الباب الأول من هذه الدّراسة(كتاب التحرير والتنوير) مصادره في الحديث وكثرتها وتنوعها، وقد حرص أن يشير إلى مصدر الحديث عند الاستعانة به مكتفيا أحيانا باسم الراوي الأول له، ذكر في قوله تعالى:﴿ إنّما كان قولَ المؤمنينَ إذا دُعوا إلى الله ورسُوله ليَحكُمَ بينهُم أني قُولوا سمعنا وأطعنا وأولئكَ هُم المفلحونَ﴾(النور:51)

يقول على سبيل المثال:« وفي الموطأ من حديث زيد بن خالد الجهنى:"أنّ رجلين اختصما إلى رسول الله فقال أجدهما:يا رسول الله أقضى بيننا بكتاب الله(يعنى وهو يريد أن رسول الله يقضى له كما وقع التصريح في رواية اللّيث بن سعد في البخاري أنّ رجلا من الأعراب أتى رسول الله فقال: أنشدك بالله إلاّ قضيت لي بكتاب الله)، وقال الآخر وهو افقههما: أجل يا رسول الله فاقضي بيننا بكتاب الله وأذن لي أن أتكلم(يريد لا تقضى له عليّ فأذن لي أن أبيّن) فقال رسول الله فاقضي بيننا بكتاب الله وأذن لي أن أتكلّم (يريد لا تقضى له عليّ فأذن لي أنّ أبيّن)، فقال رسول الله تكلّم. . . الخ. [2]

[1]. أحمد صقر ، منهج الإمام ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير،ص60.
[2]. المرجع نفسه، ص62.

وأحيانا يذكر حديثا أجمع عليه بعض رجال الحديث ثم يذكر اسم الرّاوي الأول له. . . قال في الآية الخامسة والأربعين من سورة العنكبوت:﴿واتلُ ما أُوحيَ إليكَ من الكتاب وأقم الصّلاةَ إنَّ الصّلاةَ تَنهىَ عن الفُحشَاء والمنكَر ولّذكرُ الله أكبرُ والله يعلمُ ما تَصنعونَ﴾:« ففي صحيح البخاري أنّ النّبي ﷺ قال:« بينما أنا في المسجد الحرام بين النائم واليقظان إذا أتاني جبريل. . . » إلى آخر الحديث. وهذا أصح وأوضح ممّا روى في حديث آخر أنّ الإسراء كان من بيته أو كان من بيت أم هاني بنت أبي طالب أو من شعب أبي طالب والتّحقيق حمل ذلك على أنّه إسراء آخر، وهو الوارد في حديث المعراج إلى السماوات وهو غير المراد في هذه الآية، فالنّبي ﷺ كرامتان:

أولهما الإسراء وهو المذكور هنا، والأخرى المعراج وهو الذي المذكور في حديث الصّحيحين مطولا وأحاديث غيره. وقد قيل إنّه هو المشار إليه في سورة النّجم». [1]

أ-موقفه من السّند:

وإذا كان اضطراب في سلسلة الرّواة تصدى لنقد السند معللا سبب هذا الاضطراب، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى:﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنونَ الّذين آمنوا وكانوا يتّقونَ لهم البُشرى في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوزُ العظيمُ﴾(يونس:62-64)

ب-موقفه من المتن:

ومن المواطن التي تمثل موقفه من المتن إذا وجد فيه ضعفا، ما ذكره في قوله تعالى:﴿وابتلُوا اليَتامى حتى إذا بلَغُوا النّكاَحَ فإن آنَستُم منهُم رُشدا فادفعوا إليهم أموالهُم ولا تأكُلوها إسرافا وبدارا أن يكبرُوا﴾(النساء:6).

[1] أحمد صقر ، منهج الإمام ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير،ص63.

3 . المعاني اللّغويّة:

إنّ المطّلع على تفسير ابن عاشور يقف على ثروة لغويّة ضخمة، ولهذا يمكن عد تفسير القرآن الكريم ذو خبرة لغويّة، أو كتابا في اللّغة، ويستطيع الباحث اللّغوي المتخصص بعمليّة استقرائية للتّفسير أن يحقق نتيجة يهدف إليها، ولذلك جاز القول إنّ ابن عاشور كان لغوياّ إلى جانب كونه مُفسرا، وقد اعتمد على شرحه لألفاظ قرآنيّة:

أمّا الشّرح لبعض الألفاظ القرآنيّة، فقد كان عن أصل يبحث عن أصل المادة اللّغوية التي تكون أحيانا نادرة الاستعمال، لكنّها تفيد في الجانب التّفسير، ولذلك قال الغزالي في كلامه الذي تقدم:«. . . أقرأ كلماته في التّحرير والتنوير فأستغرب لأنّه وطأ كلمات مستغربة وجعلها مألوفة، وحرر الجملة العربيّة من بعض الخباث الذي أصابها في أيام عصوره الأخيرة». [1]وسنلاحظ ذلك من خلال هذا المثال:

يقول في تفسير قوله تعالى:﴿و بشّر الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ والجنات جمع جنة، والجنة في الأصل فعلة من جنه إذا ستره، نقلوه للمكان الذي تكاثرت أشجاره والتفت بعضها ببعض حتى كثر ظلها، وذلك من وسائل التنعم والترفه عند البشر قاطبة، لا سيما في بلد تغلب عليه الحرارة كبلاد العرب، قال تعالى:﴿ وجنات ألفافا﴾. ويقول أيضا في نفس الآية من نفس السورة:« والأنهار جمع نهر بفتح الهاء وسكونها، والفتح أفصح، والنهر الاخدود الجاري فيه الماء على الأرض وهو مشتق من مادة نهر الدّالة على الانشقاق والاتساع، ويكون كبيرا وصغيرا». [2]

[1]حميد عنبوري، مدخل لدراسة منهج الطاهر ابن عاشور في تفسير "التحرير والتنوير"، مجلة دار الحديث الحسنية، ص324.

[2]المرجع نفسه، ص325.

4-الشواهد النّحويّة:

وتفسير"القرآن الكريم"لابن عاشور غنيّ أيضا بالقواعد النّحويّة، ويمكن لباحث متخصص أن يدرس الجانب النّحوي عند ابن عاشور، وأهمية النّحو في تفسير القرآن لا تخفى، فإنّ الجاهل لهذا العلم ربما وقع فيما لايحمد عقباه، وتكون نتيجته وخيمة، ونعلم كيف قرأ قارئ قوله تعالى:﴿ إنَّ الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بجر رسوله، ففزع من ذلك أبو الأسود الدؤلي لما سمعه، وخاف على نضرة تلك اللّغة من الذبول وشبابها من الهرم. . . فأدرك هذا الإمام على كرم الله وجهه وتلا في الأمر، بأن وضع تقسيم الكلمة وأبواب: إنّ وأخواتها والإضافة والامالة، والتّعجب والاستفهام وغيرها، وقال لأي الأسود الدّولي: أُنحُ هذا النّحو« ومنه جاء اسم هذا الفن»[1].

والمتأمل في تفسير "التحرير والتنوير" يجد صاحبه رحمه الله لم يقتصر على ما هو معلوم من النّحو ومشهور، بل كان يقف أحيانا عند قاعدة ليحاول لمّ شتاتها حتى إنّه ليصعب علينا أن نستمر معه إلى حين انتهائه من شرح القاعدة، وذلك يدّل على اعتبار المفسر لهذا العلم وتمكنه منه، وحسبنا هنا مثالا واحدا على ما نقوله: ففي شرحه للبسملة مثلا من سورة الفاتحة أسهب القول في قاعدة الجار والمجرور بما لا يتّسع المقام لذكره هنا. إذن فالنّحو ضروري في تفسير كتاب الله تعالى.

5-الشواهد البلاغيّة:

اهتم ابن عاشور بعلوم البلاغة وخاصة علمي البيان والمعاني، وقد أعجب بالزّمخشري في هذا الجانب، لأنّ الزّمخشري خاض في هذا الفن كثيرا، « وموضع علوم البيان من علوم العربيّة موضع الرّأس من الانسان أو اليتيمة من قلائد العقيان، فهي مستودع سرها، ومظهر جلالها، فلا فضيلة لكلام على

[1]حميد عنبوري، مدخل لدراسة منهج الطاهر ابن عاشور في تفسير "التحرير والتنوير"، ص327.

كلام، إلاّ بما يحويه من لطائفها، ويدع فيه من مزاياها وخصائصها، ولا تبرير لمتكلم على آخر إلاّ بما يحويه من وشيها، ويلفظه من درها، وينفثه من سحرها ويجنيه من يانع ثمرها». [1]

وابن عاشور قال في المقدمة الثانية:«وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النّفس لها، وبه يترجح أحد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن، ألا ترى أنه لو اطلع أحد على تفسير قوله تعالى:﴿يا أيّها الذين آمنوا لا يسخرُ قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء﴾، وعرض لديه احتمال أن يكون عطف قوله:" ولا نساءٌ" على قوله " قوم" عطف مباين أو عطف خاص على عام، فاستشهد المفسر في ذلك بقول الشاعر:

و ما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل الحصن أم نساء[2]

بهذا يتضح لنا أنّ ابن عاشور وصل به الأمر إلى اعتبار أنّ بعض آيات القرآن متوقف في فهمه على علم البلاغة. وهكذا تتجلّى أهميّة علوم البلاغة في تفسير القرآن، وإلاّ فلولا البلاغة لتعذر تفسير كثير من القرآن ولنذكر مثلا قوله تعالى:﴿هنّ لباس لكم وأنتم لباسٌ لهنّ﴾. واللّباس معروف لدى الجميع، لكن الحقّ سبحانه كنى به في هذه الآية، والكناية فنّ من فنون البلاغة في علم البيان وقس على ذلك.

6-الشواهد الشّعريّة وكلام العرب:

اعتمد ابن عاشور على الشّعر وكلام العرب، فقد كان واضحا جليا في تفسيره، وهو ان دلّ على شيء غائّما يدل على اطلاعه على الشّعر العربي بمختلف أغراضه، يقول ابن عاشور:«ولإيجاد الذّوق أو تكميله لم يكن غنى للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية ببيت من الشّعر أو بشيء من كلام العرب لتكميل ما عنده من الذّوق عند خفاء المعنى».

[1] حميد عنبوري، مدخل لدراسة منهج الطّاهر ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، ص329.
[2] المرجع نفسه، ص330.

ويقول:«روى أئمة الأدب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر قوله تعالى:﴿أو يأخذكم على تخوف﴾ ثم قال:ما تقولون فيها أي في معنى التّخويف، فقال شيخ من هذيل، فقال:هذه لغتنا:التّخوف التّنقص فقال عمرو: هل تعرف العرب ذلك في كلامها؟ قال: نعم، قال أبو كبير الهذلي:

تحوف الرجل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن[1]

وقد كان ابن عاشور يكثر من استشهاده بالشّعر العربي، لأنّه علم أنّ الصحابة أنفسهم فعلوا ذلك، وهم أهل السّليقة والسجيّة في اللّغة فضلا عن غيرهم، وقد اشتهر من الصّحابة بذلك حَبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

7-الشواهد بالأمثال العربيّة:

واستعان ابن عاشور في تفسيره بالأمثال العربيّةأيضا، لأنّها تمثل إحدى روافد الأدب العربي، ومصدرا لا يمكن الاستغناء عنه، في تفسير الظواهر المتعلقة بأخلاق النّاس ومعاملاتهم وعاداتهم وأخلاقهم. وبالجملة«فهي تمثّل الإرث الثّمين الذي يتركه السّلف للخلف، وهي خلاصة تجاربهم وآرائهم، يجد فيها الأبناء إغناء للعقل وبعثا للهمّة وإثراء الثّقافة والخبرة، وكان للإيجاز الذي اشتملت عليه والوفاء بالغرض الذي اتّسمت به أن تعلّق بها الأدباء فدوَنوها وحفظوها وتناوَلوها بالدّراسة». [2]

ومثال ذلك:"يداك أوكتا" مثل عربي قديم، استعان به ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾(النبأ:40)، قال "وما قدمت يداه" إمّا مجاز مرسل إطلاق اليدين على جميع آلات الأعمال، وإمّا أن يكون بطريقة التّمثيل بتشبيه هيئة العامل لأعماله المختلفة،

[1] المرجع نفسه، ص331.

[2] حوّاس برّي، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص97.

بهيئة الصّانع للمصنوعات بيديه كما قالوا في المثل "يداك أوكتا" ولو كان ذلك على قول بلسانه أو مشي برجليه[1].

ممّا تطرّقنا إليه سابقا حاول ابن عاشور أن ينحو منحى متميّزا في تفسيره، فلم يعتمد على من سبقه جملة وتفصيلا، كما أنّه لم يعرض عن ذلك إعراضا، ويمكن القول بأنّ هذه سمة طبعت تفاسير المعاصرين.

[1] حواس برّي،المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد طاهر بن عاشور، ص99.

المبحث الثاني: التعريف بسورة التوبة:

هذه السورة الكريمة من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع، وهي السورة التاسعة في ترتيب المصحف الشّريف وعدد آياتها(129)، وهي من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب أنّ آخر سورة نزلت سورة براءة، [1] وروى الحافظ ابن كثير: أنّ أول هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ ما فيها من الأحكام نزلت في السنّة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله ﷺ لغزو الرّوم، واشتهرت بين الغزوات النّبوية بـ"غزوة تبوك" وكانت في حرّ شديد، وسفر بعيد، حين طابت الثمار، وأخلد الناس إلى نعيم الحياة، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وامتحانا لصدقهم وإخلاصهم لدين الله، وتمييزا بينهم وبين المنافقين[2].

أولا: التسمية:

سميّت هذه السورة بسورة التوبة لأنّها بدأت بأنّ الكفار نقضوا عهودهم مع رسول الله ﷺ، فتبرأ الله عزّوجل من هذه العقود والعهود المنقوضة، وفتح باب التّوبة لهذا الذي نقض عهده مع رسوله ﷺ، قال تعالى:﴿والله يُريدُ أن يَتوُبَ عليكُم﴾(النساء:27)، وقال:﴿إنّ الله يُحبُّ التّوابين﴾(البقرة:222)، فتصور دينا ليس فيه توبة !فالإنسان إذا اقترف معصيّة لا يغفر له هذا الذنب أبدا، ولكن أيّ ذنب في الدين الإسلامي إذا تبت منه، قبل الله توبتك، فالتّوبة رحمة، والتوبة حصن للمذنب، والتوبة طريق للسّلامة.

---

[1] محمد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد1، ط4-1402هـ-1981م، ص518.

[2]. محمد راتب النابلسي، تفسير النابلسي، تدّبر آيات الله في النفس والكون والحياة، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، المجلد الخامس، ط1-1438هـ، 2017م، ص149-150.

إنَ الله عزّوجل سمى هذه السورة التي افتتحت بأنّ الكفّار نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ بسورة التوبة، لأنّ الله يغريهم بالتوبة، ويدعوهم إلى التوبة مهما يكن الذّنب كبيرا، [1]ودليل ذلك قول الله عزّوجل:﴿ورَحمَتي وَسعَت كُلُّ شيء﴾(الأعراف:156) والدّليل الآخر:﴿قُل يا عبادي الذّينَ أسرَفُوا على أنفُسهم لا تقنطُوا من رَحمة الله إنّ الله يَغفرُ الذُنوبَ جميعا﴾(الزّمر:35).

أي مهما كثُرت، أو مهما كبرت، فهو ينتظركم، فإيّاك أن تقنط من رحمة الله، وإيّاك أن تيأس، فالقنوط من رحمة الله كفر، واليأس يُعّدُّ هذا اليأس في حقّه نوعا من الكفر، فاليأس، والإحباط، وعدم المبادرة إلى التوبة جهل كبير بكمال الله عزّوجل.

كما أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال:قالﷺ:« كُلُّ بني آدَم خطّاءٌ وخيرُ الخطَائينَ التَّوابُونَ»، فالله عزّوجل ما فتح باب التوبة إلاّ ليتوب على المذنبين، ولا فتح باب المغفرة إلاّ ليغفر لهم، وكأنّ باب التوبة باب رحمة الله، فالإنسان إذا أذنب، فعليه أن يتوب.

وفي هذه الآية:﴿ثُّم تاب عليهم ليتوُبُوا﴾(التوبة:118)، فالله عزّوجل شرع لهم التوبة كي يتوبوا، فإن الإنسان ضعفت نفسه، فزلّت قدمه، وارتكب ذنبا، فباب التوبة مفتوح، فهو يتوب على أكبر الذّنوب، وعلى أكثر الذنوب، لكن أهون توبة هي الأولى، والثانية أصعب، والثّالثة هي الأصعب، كلّما تكرّر الذّنب، أصبحت التوبة أصعب، وليست العبرة أن تتوب فقط، وإنّما العبرة أن يقبل الله توبتك. فباب التوبة مفتوح، لكن ليس بالبساطة والسّهولة التي كانت في بداية التوبة، فعندما يتكرر الذّنب يشعر الإنسان بصعوبة في التوبة.

وقد تعددت تسميات سورة التوبة، ولعلّ أشهر أسماءها :"براءة"والفاضحة"و"العذاب". وتفسير ذلك كما يلي:

[1]محمد راتب النابلسي، تفسير النابلسي، تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة، ، ص150.

1-**براءة**: لغة:برئت من الشيء: إذا قطعت ما بينك وبينه من سبب وأزلته عن نفسك، قال الزجاج: برئتُ من الرّجل والدّين براءة، وبرئت من المرضى بروءا[1].

نسبت البراءة إلى الله تعالى ورسوله ﷺ مع شمولها للمسلمين في اشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعُلقت المعادة بالمسلمين خاصة مع كونها بإذن الله تعالى واتّفاق الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لإنباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لأنّها عبارة عن انهاء حكم الأمان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة، وذلك منوط بجانب الله تعالى من غير توقف على شيء أصلا، فالبراءة تتعلّق بالعهد لا بالإذن فيه فنسبت كلّ واحدة منهما إلى من هو أصل فيها، على أنّ في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لأمرها وتسجيلا عللا الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان. [2]

2-**الفاضحة**: أمّا هذه التسمية فلقد أخرج بشأنها أبو عبيد وابن المنذر وغيرهما عن ابن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة التوبة قال: التوبة هي الفاضحة مازالت تنزلو منهم ومنهم حتى ظننا أنّه لا يبقى أحدٌ منَّا إلاّ ذُكرَ فيها. [3]وسُميت هذه السورة بالفاضحة لأنّها تفضح المنافقين واليهود.

3-**العذاب**:أخرج الحاكم في مستدركه عن حذيفة قال: التي يسمون سورة التوبة هي سورة العذاب، وعن حذيفة: أنّه سمّا سورة العذاب، لأنّها نزلت بعذاب الكفار، أي: عذاب القتل والأخذ حين يُثقفون.

وأخرج أبو الشّيخ عن ابن جبير قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إذا ذكر له سورة براءة وقيل سورة التوبة قال: هي إلى العذاب أقرب ما أقلعت عن النّاس حتى تدع ما كادت تدع منهم أحدا. [1]

---

[1]محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص520.

[2]الألوسي، أبو الفضل شهاب الدّين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، المجلد الخامس، ط1-1415هـ، 1994م، ص238.

[3]المرجع نفسه، ص235.

وسُميت سورة العذاب لأنّ الله وعد المنافقين والمنافقات بنار جهنّم أي خالدين فيها*[2] والدليل على ذلك قوله عزّوجل:﴿وَعَدَ اللهُ المنافقينَ والمنافقات والكُفّارَ نارَ جهنَّمَ خالدينَ فيها هي حسبُهُم ولعنَهُم الله ولهُم عذابٌ مُقيمٌ﴾(التوبة:68). ومهما تعددت تسميات سورة التوبة، فالله عزّوجل حرص على إبقاء باب التوبة مفتوحا لجميع النّاس.

ثانيا: سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة:

مما يلفت النّظر أنّ هذه السورة لم تبدأ بالبسملة، والسبب: أنّ النبي ﷺ كان يحدد بداية كلّ سورة بالبسملة، ولم يحدد في هذه السورة بداية، وهذا قاله سيدنا عثمان، وإنّما لم يحدد النبي ﷺ في هذه السورة البسملة، لأنّه ليس في القرآن كما يتصور بعضهم رتابة، بل هناك تغييرات تلفت النّظر، فتقول: ما الذي حدث؟ وهناك آيات فيها كلمات متعاطفة بالرّفع، ثُم تأتي كلمة منصوبة بينها، وهذا شيء يلفت النّظر، وهناك موضوع التّقديم والتّأخير، وموضوع اللّفتات البلاغيّة في القرآن الكريم، وهو شيء دقيق جدا، ونحن حينما نقف عند بعض هذه اللّفتات، أو عند بعض النُّكت، يزداد إيمانا بأنّ هذا القرآن من عند خالق الأكوان. [3]

وهذه السورة نقض للعهود لم تبدأ بالبسملة أيضا، لأنّ في البسملة أمانا ورحمة، وفي هذه السورة نقض للعهود، فلا تناسب البسملة مع نقص العهود، وقد سبقتها سورة الأنفال، وهذه الأخيرة فيها توزيع للغنائم، كما فيها توزيع للصدقات، إذا السورتان متكاملتان، وكأنّهما سورة واحدة.

وروى أبو الشّيخ، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب: أنّهم تركوا البسملة في أولها لأنّ البسملة أمان وبشارة وسورة براءة نزلت لنبذ العهود والسّيف، فلذلك لم تبدأ بشعار الأمان، وهذا إنّما

[1]الألوسي، روح المعاني ، ص235.

[2]خالدين فيها: أي ماكثين فيها أبدا.

[3]النابلسي، تفسير النابلسي، ص149.

يجري على قول من يجعلون البسملة آية من أول كلّ سورة عدا سورة براءة ففي هذا رعي لبلاغة مقام الخطاب كما أنّ الخطاب المغضب يبدأ خطبته "بأما بعد" دون استفتاح، وشأن العرب وإذا كان بينهم عهد فأرادوا نقضه كتبوا إلى القوم الذين ينبذون إليهم بالعهد كتابا ولم يفتحوه بكلمة "باسمك اللّهمّ" فلما نزلت براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين بعث عليًّا إلى الموسم فقرأ صدر براءة ولم يبسمل جريا على عادتهم في رسائل نقض العهود. [1]

وقال ابن العربي في الأحكام: قال مالك فيما روى عنه ابن وهب، وابن القاسم، وابن عبد الحكم: إنّه لما سقط أوّلها، أي سورة براءة سقط بسم الله الرّحمان الرّحيم معه. ويفسر كلامه ما قال ابن عطية:رُوي عن مالك أنّهُ قال: بلغنا أنّ سورة براءة كانت نحو سورة البقرة ثم نسخ ورفع كثير منها وفيه البسملة فلم يروا بعد أن يضعوه في غير موضعه.

وما نسبه ابن عطية إلى مالك عزاه ابن العربي إلى ابن عجلان فلعلّ في نسخه تفسير ابن عطيّة نقصا. والذي وقفنا عليه من كلام مالك في ترك البسملة من سورة الأنفال وسورة براءة: هو ما في سماع ابن القاسم في أوائل كتاب الجامع الأول من العتبية«قال مالك في أول براءة إنّما ترك ما مضى أن يكتبوا في أوّل براءة بسم الله الرّحمان الرّحيم، كأنّه رآه من وجه الاتّباع في ذلك، كانت في آخر ما نزل من القرآن، وساق حديث ابن من حفصة أم المؤمنين وأرجعها إليها». [2]

قال ابن رشد في البيان والتحصيل« ما تأوّله مالك من أنّه إنّما ترك من مضى أن يكتبوا في أول براءة بسم الله الرّحمان الرّحيم من وجه الاتّباع، المعنى فيه والله أعلم أنّه إنّما ترك عثمان بن عفّان من كان بحضرته من الصّحابة المجتمعين على جمع القرآن البسملة بين سورة الأنفال وبراءة، وإن كانت سورتين

[1] الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدّار التونسية للنشر والتوزيع، الجزء 10، تونس1984، ص101.
[2] المرجع نفسه ، ص102.

بدليل أنّ براءة كانت سنة أربع، اتّباعا لما وجدوه في الصّحف التي جمعت على عهد أبي بكر وكانت عند حفصة»[1]. ولم يذكر ابن رشد عن مالك قولا غير هذا.

وعن قتادة وغيره أنّها مع الأنفال سورة واحدة ولهذا لم تكتب بينهما البسملة، وقيل: وفي وجه عدم كتابتها أنّ الصّحابة رضي الله تعالى عنهم اختلفوا في كونها سورة أو بعض سور ففصلوا بينها وبين الأنفال رعاية لمن يقول هما سورتان ولم يكتبوا البسملة رعاية لمن يقول هما سورة واحدة، والحق أنّهما سورتان إلاّ أنّهم لم يكتبوا البسملة بينهما لما رواه أبو الشّيخ وابن مردودية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن علي كرّم الله تعالى وجهه من أنّ البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسّيف، ومثله عن محمد بن الحنفية، وسفيان بن عيينة، ومرجع ذلك إلى أنّها لم تنزل هذه السّورة كأخواتها لما ذكر، ويؤيّد القول بالاستقلال تسميتها بما مر. [2]

ثالثا:موضوعاتها:وردت في سورة التوبة عدّة موضوعات، نذكر منها:

1-البراءة من عهود المشركين، وأحكام معاملتهم، والأمر بقتلهم ومنعهم من دخول المسجد الحرام.

2-ذكر صفات المشركين والمنافقين، وتعاملهم مع المؤمنين.

3-الحض على الجهاد، وعمارة المساجد.

4-فضل وجزاء المجاهدين.

5-تحريم تولّي الكفار.

6-فضل الله على المؤمنين بالنّصر.

7-تحريم دخول المشركين للمسجد الحرام، وقتالهم.

8-نهب الأحبار لأموال النّاس، وعقابهم.

9-حرمة الأشهر الحرم، وتلاعب المشركين بها.

10-الأمر بالجهاد والتّذكير بنصر الله.

---

[1] الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ص102.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص236.

11-ذكر أوصاف المنافقين، وفضحهم.

12-أهل الزّكاة الثّمانية.

13-ذكر صفات وجزاء المنافقين والمؤمنين.

14-الأمر بالجهاد وأنواع المنافقين والمعتذرين.

15-فصل الّدقة والتّوبة والتّجارة الرّابحة.

16-تحريم الاستغفار للمشركين.

17-توبة الله على أهل غزوة تبوك.

18-فضل أهل المدينة وفضل العلم.

19-موقف المؤمنين والمنافقين من نزول السّور.

20-ذكر بعض صفات الرّسول ﷺ.

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ سورة التوبة هي البلاغ الأخير للبشريّة، وقد أنزلت قبل ختام القرآن ووداع النّبي ﷺ، فبالرغم من أنّها قد تضمّنت التّهديد الشّديد للكفّار والمنافقين إلى الدّفاع عن دينهم، إلاّ أنّها حرصت على إبقاء باب التوبة مفتوحا لجميع النّاس.

وقد ختمت السورة بالإشادة بصفات المؤمنين الحقة، خصوصا معنى الجهاد والهجرة اللذين كُثروا أكثر من ثلاث مرات، للدلالة على قيمتها في المجتمع.

المبحث الثالث: آليات الحجاج في تفسير سورة التوبة.

استخدمت آليات حجاجية متنوعة في سورة التوبة، تتماشى مع موضوعاتها وأهدافها، وهي كالتالي:

1-الحجاج بالتاريخ:

نزلت سورة التوبة في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله ﷺ لغزو الرّوم، واشتهرت بين الغزوات النبوية باسم غزوة تبوك، وكانت في حرّ شديد، وسفر بعيد، حين طابت الثمار، وأخلد الناس إلى نعيم الحياة، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وامتحانا لصدقهم وإخلاصهم لدين الله، وتمييزا بينهم وبين المنافقين. [1]

فهذه أسباب نزول سورة التوبة شأن سورة التوبة كأي سورة مدنية من حيث نزولها، فلكل مجموعة من آياتها تتحدث عن براءة الله من المشركين والكفار وغضبه عليهم، ونذكر بعضا من أسباب نزول السورة أهمها:

-﴿وإن نَكثُوا إيمانهُم من بعد عَهدهم وطعنُوا في دينكُم فقَاتلوا أئمة الكُفر إنَّهم لا إيمان لهم لَعلّهُم يَنتهُون﴾ (التوبة:12). ومضمونها أنّ الكفار والمشركين قد نقضوا عهدهم مع النبي الكريم وصحابته، كما أنها كانت بمثابة إعطاء الإذن بقتالهم[2].

-﴿ما كانَ للمُشركينَ أن يعمرُوا مساجدَ الله شاهدينَ فيها على أنفُسهم بالكُفر﴾ (التوبة:17).

ومما جاء عن أهل التفسير أن المسلمين بعد أن أسروا العباس في معركة بدر كانوا يعيّرونه بقطيعة الرحم ومحاربته رسول الله، فردّ عليهم بقوله:« مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا» فقال له

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص518.
[2] ينظر:النابلسي، تفسير النابلسي، ص182.

علي-رضي الله عنه-"ألكم محاسن" فقال: "إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني».

-﴿وعلى الثلاثة الذين خُلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنُّوا أن لا ملجأ من الله إلاَّ إليه ثم تاب عليهم ليتوبُوا إنّ الله هو التُّوابُ الرحيمُ﴾ (التوبة:118).

فقد نزلت في الثلاثة الّذين تخلفوا عن معركة تبوك دون عذر يمنعهم وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. فقاطعهم رسول الله وأمر جميع المسلمين بمقاطعتهم عقابا لهم، فلّما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت واستغفروا الله عقولهم وتاب عليهم. [1]

-﴿يا أيُّها الّذين آمنوا مالكُم إذا قيلَ لكُم أنفرُوا في سبيل الله أثا قُلتُم إلى الأرض أرضيتُم بالحياة الدُّنيا من الآخرة فما متاعُ الحياة الدنيا في الآخرة إلاُّ قليلُ﴾(التوبة:38).

نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الطُّائف وغزوة حُنين أمر بالجهاد لغزوة الروم، وذلك من زمن عُسوة من النَّاس، وجَدب من البلاد، وشدّة من الحرّ، حين أخرفت النّخلُ، وطابت الثمار، فعظُم على الناس غزو الرُوم، وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال، وشقّ عليهم الخروج إلى القتال، فلّما علم اللهُ تثاقُل الناس، وتكاسلهم وضعفهم، أنزل هذه الآية[2].

-﴿يا أيّها الّذين آمنوا إنّما المشركون نجسٌ فلا يقربُوا المسجدَ الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتُم عيلة فسوف يُغنيكُم اللهُ من فضله إن شاءَ الله عليمُ حكيمُ﴾(التوبة:28).

والإشارة إلى العام الذي نزلت فيه الآية وهو عام تسعة من الهجرة، فقد حضر المشركون موسم الحج فيه، أعلن لهم فيه أنّهم لا يعودون إلى الحج بعد ذلك العام، وإنّما أمهلوا إلى بقية العام لأنّهم قد

[1] ينظر:النابلسي، تفسير النابلسي، ص323.

[2] المرجع نفسه، ص251.

حصلوا في الموسم، والرجوع إلى آفاقهم متفاوت، «فأريد من العام موسم الحج، وإلاّ فإنه نهاية العام بانسلاخ ذي الحجة وهم قد أمهلوا إلى نهاية المحرم [1]لقوله تعالى:«فسيحُوا في الأرض أربعة أشهر».

والمقصود من النهي عن اقترابهم من المسجد الحرام النّهي عن حضورهم للحج لأنّ مناسك الحج كلّها تتقدمها زيارة المسجد الحرام وتعاقبها كذلك لذلك لما نزلت "براءة" أرسل النّبي ﷺ بأن ينادي في الموسم أن لا يحجّ بعد العام مشرك وقرينة ذلك توقيت ابتداء النّهي بما بعد عامهم الحاضر، فدلّ على أنّ النّهي منظور فيه إلى عمل يكمل مع اقتراب اكتمال العام وذلك هو الحج، فلولا أرادة ذلك لما كان فيه أي توقيت النّهي عن اقتراب المسجد الحرام بانتهاء العام حكمة ولكان النّهي على الفور. [2]

-﴿إن نعفُ عن طائفة منكُم نُعذبُ طائفةٌ بأنّهم كانوا مُجرمين﴾(التوبة:)

وقد آمن بعض المنافقين بعد نزول هذه الآية، وذكر المفسرون من هذه الطّائفة مخشيا بن حُميّر الأشجعي لما سمع هذه الآية تاب من النّفاق، وحسن إسلامه، فعُدّ من الصحابة، وقد جاهد يوم اليمامة واستشهد فيه، وقيل: إنّه المقصود «بالطّائفة» دون غيره فيكون من باب إطلاق لفظ الجماعة على الواحد في مقام الإحفاء والتّعميّة كقوله ﷺ« ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله». وقد توفي رسولﷺ وفي المدينة بقيّة من المنافقين وكان عمر بن الخطاب في خلافته يتوسّمهم.[3]

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص160.
[2]المرجع نفسه، ص161.
[3]المرجع نفسه، 253.

2-الحجاج بالمنطق والجدل:

إنّ الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيّنة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللّغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تستنتج منها. [1]

وفي هذا الصّدد نميّز بين نوعين من الحجاج، الحجاج بالمنطق والحجاج بالجدل:

أ-الحجاج بالمنطق:

إذا كان المنطق« علما يعصم الأفكار عن الخطأ في المطلوب التّصوري الذي تتعرّف منه حقيقة الشّيء، وفي المطلوب التّصديقي الذي يتعرّف منه العلم مع دليل ما»، فإن ابن عاشور يذهب إلى القول بأنه«ما خلت لغة من لغات الأمم في مناقشاتها من قضايا المنطق لولا اختلاف الاصطلاح»، مهما كان من أمر نقل المسلمين للمنطق اليوناني ضمن ما نقلوه من علوم الأوائل. وعنده أنّ التّأمل في مسائله وقضاياه يوقفنا على أنّها"فطرية عقلية، أي تنتهي إلى شيء يُدرَك بالفطرة والضرورة[2]".

وهكذا فالمنطق بهذا المعنى ليس أمرا قد اختصت العبقرية اليونانيّة دون سائر الأمم باكتشافه والتّفكير وفقا لقوانينه، وأن كان أرسطو حسب الرّؤية السّائدة لتاريخ الفلسفة هو الذي جمع أصوله ونسق قضاياه. [3]

ومن أهم الحجج المنطقيّة التي وردت في سورة التوبة نذكر ما يلي:

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص17.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النّفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2-1421هـ، 2001م، ص75.

[3] الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعةالإسلامية ، ص75-76.

-﴿إلاَّ تُنفرُوا يُعذّبكُم عذابا أليما ويستبدلَ قوما غيركُم ولا تضُرّوه شيئا والله على كلّ شيء قديرٌ﴾(التوبة:39).

هذا وعيد وتهديد عقب به المؤمنين، لأنّ اللّوم وقع على تثاقل حصل، ولما كان التّثاقل مفضيا فهو متعلّق بالمستقبل كما هو مقتضى أداة شرط. فالجملة مستأنفة لغرض الإنكار بعد اللّوم، فإنّ كان هذا وعيدا فقد اقتضى أنّ خروج المخاطبين إلى الجهاد بحيث لا يغني بعضهم عن بعض، أي تعيّن الوجوب عليهم، فيحتمل أن يكون التعيين بسبب تعيين الرّسول ﷺ إياهم للخروج بسبب النّفير العام، وأن يكون بسبب كثرة العدو الذين استنفروا لقتاله، بحيث وجب خُروج جميع القادرين من المسلمين، لأنّ جيش العدّو كاموا مثلي عدد جيش المسلمين.

وعن ابن عباس أنّ هذا الحكم المنسوخ نسخه قوله تعالى:«وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة»، فيكون الجهاد قد سبق له حكم فرض العين ثم نقل إلى فرض الكفاية. فالمراد بالعذاب الأليم في قوله:«يُعذّبكم عذابا أليما» هو عذاب الآخرة كما هو معتاد في اطلاق العذاب ووصفه بالأليم، وقيل:المراد بالعذاب الأليم عذاب الدّنيا كقوله«أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا»، فلا يكون في الآية حجّة على كون ذلك الجهاد واجبا على الأعيان، ولكنّ الله توعّدهم، إن لم يمتثلوا أمر الرّسول -عليه الصلاة والسّلام-، بأن يصيبهم بعذاب في الدّنيا، فيكون الكلام تهديدا لا وعيدا. فالمقصود تهديدهم بأنّهم إن تقاعدوا عن النّفير هاجمهم العدُو في ديارهم فاستأصلوهم وأتى الله بقوم غيرهم. «والأليم» المؤلم فهو فعيل مأخوذ من الرّباعي على خلاف القياس كقوله تعالى:« تلك آيات الكتاب الحكيم»، وقول عمرو بم معد يكرب:

أمن ريحانة الدّاعي السّميع أي المسمع. (السميع):السامع، قال الله تعالى:﴿فجعلناهُ سميعا بصيرا﴾:أي حيّا لا آفة به يدرك المسموعات والمرئيات. والله تعالى(هو السميع البصير)وهو من صفات الله تعالى لذاته، ومعناه :الأليم.

السّميع:المستمع. يعني :ريحانة أخته وهي أم دريد بن الصمة وكانت أُسرت. وجملة «والله على كلّ شيء قدير» تذييل للكلام لأنّه يحقق مضمون لحاق الضّر بهم لأنّه قديرٌ عليهم في جملة كلّ شيء، وعدم لحاق الضّر به لأنّه قدير على كلّ شيء فدخلت الأشياء التي من شأنها الضرّ. [1]

-﴿إن تُصبكَ حسنةٌ تسؤهُم وإن تُصبكَ مُصيبةٌ يقُولوا قد أخذنا أمرنَا من قبلُ ويتوَلَّوا وهم فرحونَ﴾(التوبة:50).

هذه الجملة تتنزل منزلة البيان لجملة«إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون»، وما بين الجملتين استدلال على كذبهم في ما اعتذروا به وأظهروا الاستئذان لأجله، وبُيّن هنا أنّ تردُّد بهم هو أنّهم يخشون ظهورا أمر المسلمين. فلذلك لا يصارحونهم بالإعراض ويودّون خيبة المؤمنين، فلذلك لا يجبّون الخروج معهم. [2]والحسنة الحادثة التي تحسن لمن حلّت به واعترته. والمراد بها هنا النّصر والغنيمة.

والمصيبة مشتقة من أصاب بمعنى حلّ ونال وصادف، وخصت المصيبة في اللّغة بالحادثة التي تعتري الإنسان فتسوءه وتحزنه، ولذلك عبّر عنها بالسّيئة في قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سّيئة يفرحوا بها﴾ (آل عمران:120). والمراد بها الهزيمة في الموضعين، وقد تقدّم ذلك في قوله تعالى:﴿ثُم بدّلنا مكان السّيئة الحسنة﴾(الأعراف:95). وقولهم « قد

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص200.

[2]المرجع نفسه، ص222.

أخذنا أمرنا من قبلُ» ابتهاج منهم بمصادفة أعمالهم ما فيه سلامتهم فيزعمون أنّ يقظتَهُم وحزمهم قد صادفا المحزّ، إذا احتاطوا له قبل الوقوع في الضّر.

والأخذُ حقيقته التّناول، وهو هنا مستعار للاستعداد والتلافي. والأمر الحال المهّم صاحبه، أي: قد استعددنا لما يهمّنا فلم نقع في المصيبة. والتّولّي حقيقته الرّجوع، وتقدم في قوله تعالى«وإذا تولّى سعى في الأرض» في سورة البقرة. وهو هنا تمثيل لحالهم في تخلّصهم من المصيبة التي قد كانت تحل بهم لو خرجوا مع المسلمين، بحال من أشرفوا على خطر ثم سلموا منه ورجعوا فارحين مسرورين بسلامتهم وبإصابة أعدائهم[1].

-﴿لا تعتَذرُوا قد كَفرتُم بعد إيمانكُم إن نعفُ عن طائفة منكُم نُعَذّب طائفةٌ بأنّهُم كانُوا مُجرمينَ﴾(التوبة:66).

فجملة «لا تعتذروا» من جملة القول الذي أمر الرّسول أن يقوله، وهي ارتقاء في توبيخهم، فهي متضمنة توكيدا لمضمون جملة «أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»، مع زيادة ارتقاء في التوبيخ وارتقاء في مثالهم بأنّهم تلبّسوا بما هو أشّد وهو الكفر، فلذلك قطعت الجملة عن التي قبلها، على أنّ شأن الجمل الواقعة في مقام التّوبيخ أنّ تقطع ولا تعطف لأنّ التّوبيخ يقتضي التعداد، فتقع الجمل الموبّخ بعا موقع الأعداد المحسوبة نحو واحد، اثنان، فالمعنى لا حاجة بكم للاعتذار عن التناجي فإنكم قد عرفتم بما هو أعظم وأشنع. [2]والنّهي مستعمل في التّسوية وعدم الجدوى.

وقوله« قد كفرتم» يدّل على وقوع الكفر في الماضي، أي:قبل الاستهزاء، وذلك أنّه قد عُرفَ كفرهم من قبل، والمراد بإسناد الإيمان إليهم: إظهار الإيمان، لا وقوع حقيقته.

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص222.

[2]المرجع نفسه، ص251-252.

﴿إن نعفُ عن طائفة منكم نُعذبُ طائفة بأنّهم كانوا مُجرمين﴾. جاءت هذه الجملة على عادة القرآن في تعقيب النّذارة بالتّبشير للراغب في التوبة تذكيرا له بإمكان تدارك حاله.

ولما كام حال المنافقين عجيبا كانت البشارة لهم مخلوطة ببقية النّذارة، فأنبأهم أنّ طائفة منهم قد يعض عنها إذا طلبت سبب العفو: بإخلاص الإيمان، وأنّ طائفة تبقى في حالة العذاب، والمقام دالٌ على أنّ ذلك لا يكون عبثا، ولا ترجيحا بدون مُرجّح، فما هو إلاّ طائفة مرجوّة الإيمان، فيغفر عمّا قدمته من النّفاق، وأخرى تصرّ على النّفاق حتى الموت، فتصير إلى العذاب، والآيات الواردة بعد هده تزيد ما دلّ عليه المقام وضوحا من قوله«نسوا الله فنسيهم-إلى قوله-عذاب مقيم». وقوله بعد ذلك:« فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولّوا يعذّبهم عذابا أليما في الدّنيا والآخرة». [1]

ب-الحجاج الجدلي:تعددت تعاريف الجدل عند الفلاسفة والمفكرين ولعلّ أبرزها ما يلي:

الجدل هو تبادل الحجج والأفكار، وتبادل وجهات النّظر المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة، أو هو ذلك الجدال بين طرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة وغالبا، ما يكون تحت لواء المنطق أو اللّوغوس أو مقاييس الاستدلال.

ومن ثم ينبني الحجاج الجدلي على مقدّمات افتراضية واحتماليّة، ويصل إلى نتائج افتراضية ومن هنا، «فالحجّة الجدليّة هي الحجّة المؤلفة من مقدمات مشهورة الذّهن لأول النّظر، بأنّ نقيضه ممكن»، أو«هي تلك الحجّة المؤلفة من مقدمات يُسلّم بها المخاطب، ولكن هذه المقدمات لا ترقى في حقيقة حالها إلى مرتبة اليقين التّام». [2]

-﴿وقالت اليَهُودُ عُزَيرُ ابن الله وقالت النّصارى المسيحُ ابنُ الله ذلكَ قَولُهُم بأفواههم يُضاهئونَ قولَ الّذينَ كفرُوا من قبلُ قاتَلهُم الله أنّى يُوفكُون﴾(التوبة:30).

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص252-253.

[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ص63.

وفي هذه الآية إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنّصارى، لمقالتهم هذه المقالة الشّنيعة، ثم ذكر تعالى طرفا من قبائحهم فقال :﴿ وقالت اليهود عزيرُ ابن الله ﴾ أي نسب اللّعناء إلى الله الولد، وهو واحد أحد فرد صمد، قال البيضاوي: وإنّما قالوا ذلك لأنّه لم يبق فيهم بعد من يحفظ التّوراة، فلمّا أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التّوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا:ما هذا إلاّ ابن الله[1]. ﴿و قالت النّصارى المسيح ابن الله﴾ حيث زعم النّصارى أعداء الله أنّ المسيح ابن الله قالوا: لأنّ عيسى ولد بدون أب، ولا يمكن أن يكون ولد بدون أب، فلا بدّ أن يكون ابن الله، وردّا عليهم لقوله تعالى:﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ فذلك القول الشّنيع هو مجرّد دعوى باللّسان من غير دليل ولا برهان، [2] ﴿ يضاهئون قول الذّين كفروا من قبل﴾ أي: يشابهون، ودليل هذا أنّ ملة الكفر واحدة، فالكافر كافر في أيّ مكان وزمان.

﴿قاتَلهُم اللهُ أنّى يوفكون﴾ دعاء عليهم بالهلاك أي أهلكهم الله كيف يصرفون عن الحقّ إلى الباطل بعد وضوح الدّليل حتى يجعلوا الله ولدا ! قال الرّازي: الصّيغة للتعجب وهو راجعٌ إلى الخلق على عادة العرب في مخاطباتهم، والله تعالى عجّب نبيّه من تركهم الحقّ وإصرارهم على الباطل.

-﴿قُل إن كانَ آباؤُكُم وإخوانكُم وأزواجُكُم وعشيرَتُكم وأموالٌ اقترَضتُموها وتجارةٌ تخشونَ كسادهَا ومساكنَ ترضَونها أحبَّ إليكُم من الله ورسُوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتيَ اللهُ بأمره واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقينَ﴾(التوبة:24).

ارتقاء في التّحذير من العلائق التي قد تفضي إلى التقصير في القيام بواجبات الإسلام، فلذلك جاءت زيادة تفصيل الأصناف من ذوي القرابة وأسباب المخالطة التي تكون بين المؤمنين وبين الكافرين، ومن

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص531.
[2] المرجع نفسه، ص531.

الأسباب التي تتعلّق بها نفوس النّاس فبحول تعلّقهم بها بينهم وبين الوفاء ببعض حقوق الإسلام، فلذلك ذكر الأبناء هنا لأنّ التّعلّق بهم أقوى من التّعلّق بالإخوان، وذُكر غيرهم من قريب القرابة أيضا.

وقد جمعت هذه الآية أصنافا من العلاقات وذويها من شأنها أن تألفها النّفوس، وترغب في القرب منها وعدم مفارقتها، فإذا كان الثّبات على الإيمان يجرّ إلى هجران بعضها كالآباء والإخوان الكافرين الذين يألف المرء البقاء بينهم، فلعلّ ذلك يقعده، وكالأموال والتجارة التي تصدّ عن الغزو وعن الإنفاق في سبيل الله، وكذلك المساكن التي يألف المرء الإقامة فيها فيصدّه إلفها عن الغزو. فإذا حصل التّعارض والتّدافع بين ما أراده الله من المؤمنين وبين ما تجرّ إليه تلك العلائق وجب على المؤمن دحضها وإرضاء ربه [1].

-﴿ ولَو أنّهُم رضُوا ما آتاهم اللهُ ورسُولُهُ وقالُوا حسبُنا اللهُ سيُؤتينَا اللهُ من فضله ورسُولُهُ إنّا إلى الله راغبون﴾(التوبة:59).

فالله عزوجل أراد منهم أن يرضوا بعطائه، وأن يرضوا بنصيبهم من الله عزوجل، ومن علامات المؤمن الرّضى عن الله عزّوجل، فأن تكون راضيا عن الله شيء رائعٌ جدا، فهو خالق الأكوان، ملك الملوك، قيّوم السّماوات والأرض، القويّ، الغنيّ، الرّحيم، الحكيم، فإن ساقك لك مشكلة أو جعلك بهذا الوضع، أو جعلك في كفاف، ورضيت عن الله عزّوجل، قربك إليه، ففي صحيح "ابن حيان" عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:« اللّهمّ اجعل رزقَ آل مُحمّد كفَافًا»، وهذا يعُمُّ أمته، أي: أن يكون عندك شيءٌ يحقق حاجتك [2].

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص152-153.
[2] النابلسي، تفسير النابلسي، ص293.

فإن اكتفيت بالله، وقلت: حسبي الله ونعم الوكيل، كفاك الله، ورد في بعض الآثار: (من أحبّنا أحببناه، ومن طلب منّا أعطيناه، ومن اكتفى بنا عمّا لنا، كنا له ومالنا)، ويحكى أنّ ملكا قال لحواريه: أطلبنا وتمنينا، فكلّ واحد منهُنَّ قالت: أنا أُريدك أنت، فقال لها: أنا وما أملك لك[1]،

-﴿يحلفونَ بالله ما قالُوا ولقد قالُوا كلمة الكُفر وكفرُوا بعدَ إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالُوا وما نقصوا إلاّ أن أغناهُم اللهُ ورسُولُهُ من فضله فإن يتُوبُوا يكُ خيرا لهُم وإن يتولّوا يُعذبهُم اللهُ عذابا أليما في الدُّنيا والآخرة وما لهُم في الأرض من وليَّ ولا نصير﴾(التوبة:74).

إنّ معظم ما أحذ على المنافقين هو كلمات دالّة على الطّعن في الرّسول ﷺ ونحو ذلك من دلائل الكفر وكانوا إذا نُقل ذلك عنهم تنصلّوا منه بالأيمان الكاذبة، عُقبت آية الأمر بجهادهم بالتّنبيه على أنّ ما يتنصّلون بن تنصلٌ كاذب وأنّ لا ثقة بحلفهم، وعلى إثبات أنّهم قالوا ما هو صريح في كفرهم. فجملة«يحلفون» مستأنفة استئنافا بيانيّا يثيره الأمر بجهادهم مع مشاهدة ظاهر أحوالهم من التنّصل ممّا نقل عنهم، إن اعتبر المقصود من الجملة تكذيبهم في حلفهم[2].

﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ هي قول ابن سلول «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل، ﴿و كفروا بعد إسلامهم﴾ أي أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام، ﴿ وهموا بما لن ينالوا﴾ قال ابن كثير: هم نفر من المنافقين همّوا بالفتك بالنّبي ﷺ عند عودته من تبوك وكانوا بضعة عشر رجلا، ﴿ وما نقموا إلاّ أغناهم ببركته، ويُمنَ سعادَته، وهذه الصّيغة تُقالُ حيث لا ذنب ثم دعاهم تبارك وتعالى إلى التوبة فقال:﴿ فإن يتوبوا يك خيرا لهم﴾ أي فإن يتوبوا عن النّفاق يكن رجوعهم وتوبتهم خيرا لهم وأفضل، ﴿إن يتولوا﴾ أي يعرضوا ويصروا على النّفاق، ﴿يعذبهم الله عذابا أليما﴾ أي يعذبهم عذابا شديدا، ﴿ في الدّنيا والآخرة﴾ أي في الدُّنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنّار وسخط الجبار، ﴿و مالهم في

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص293.

[2]ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ص268.

الأرض من وليّ ولا نصير﴾ أي ليس لهم من ينقذهم من العذاب، أو يشفع لهم فيخلصهم وينجيهم يوم الحساب [1].

ممّا سبق نستنتج أنّ الحجاج أصبح أداة لمناقشة الأفكار والأطاريح والمواقف المختلفة، مهما كانت طبيعتهما ومصداقيتهما، فهو آلية مهمة في محاورة الأطراف المشاركة في عملية التواصل، وحجاج الجدال باعتباره أقدم الأنواع الحجاجية والدّليل على ذلك أنّ الأنبياء والرّسل كانوا يلتجئون إلى الجدال الحسن لإقناعهم، ويستعملون حججه من أجل جعلهم يقتنعون بسموّ الرّسالة الرّبانية وعلوّها حتى تحول الجدال إلى سجال فكري، ومناظرة ثقافية ومحاورة فلسفية ومنطقية وحواريّة.

3-الحجاج اللّغوي:

تهدف نظريّة الحجاج اللّغوي أو اللساني التي وضعها كلّ من أنسكومبر(Anscombre J c) وأزوالدديكرو(Oducrot) إلى دراسة الجوانب الحجاجيّة في اللّغة، ووصفها انطلاقا من فرضية محوريّة ألا وهي:"إننا نتكلم عامة بقصد التّأثير". أي: تحمل اللّغة في طياتها "وبصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجيّة تتجلّى في بنية الأقوال ذاتها صوتيا، وصرفيا، وتركيبيّا، ودلاليّا، ومن ثم، تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللّغة. أي: القواعد الدّاخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب. [2]

وعليه، فنظريّة الحجاج اللّغوي تندرج ضمن النّظريات الدلالية الحديثة التي تقدم تصوّرات جديدة حول المعنى، وتقترح مقترحات جادة حول كثير من القضايا والظّواهر اللّغويّة، فوظيفة اللّغة الأساسية ليست هي الوظيفة التّواصليّة الإخبارية، بل هي الوظيفة الحجايجيّة.

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص549.

[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ص167.

-﴿وأذانٌ من الله ورسُولُه إلى النّاس يوم الحجّ الأكبر أنَّ اللهَ بريءٌ من المشركينَ ورسُولُه فإن تُبتُم فهو خيرٌ لكم وإن تولّيتُم فاعلموا أنّكم غيرُ معجزي الله وبشّر الذّين كفرُوا بعذاب أليم﴾(التوبة:03).

عطف على جملة«براءة من الله ورسوله» وموقع لفظ «أذان» كموقع لفظ «براءة» في التقدير، وهذا إعلام للمشركين الذّين لهم عهد بأنّ عهدهم انتفض والأذان اسم مصدر آذنه، إذا أعلمه بإعلان، مثل العطاء بمعنى الإعطاء، والأمان بمعنى الإيمان، فهو بمعنى الإيذان[1]. و(الأكبر) نعتٌ للحجّ، باعتبار تجزئته إلى أعمال، فوُصف الأعظم من تلك الأعمال بالأكبر ويظهر من اختلافهم في المراد من الحجّ الأكبر أنّ هذا اللّفظ لم يكن معروفا قبل نزول هذه الآية ثم اختلف السّلف في المراد منه. وهذا الكلام إنشاءٌ لهذا الأذان، مؤقتا بيوم الحجّ الأكبر، فيؤول إلى معنى الأمر، إذا آذنوا النّاس يوم الحجّ الأكبر بأنّ الله ورسوله بريئان من المشركين.

و المراد(بالنّاس) جميع النّاس الذّين ضمّهم الموسم، ومن يبلغه ذلك منهم: مؤمنهم ومشركهم، لأنّ هذا الأذان ممّا يجب أن يعلمه المسلم والمشرك إذا كان حكمه يلزم فريقين.

وقوله« أنّ الله بريء من المشركين» يتعلّق ب (أذان) بحذف حرف الجرّ، وهو باء التّعديّة أي إعلام هذه البراءة المتقدمة في قوله «براءة من الله ورسوله» فإعادتها هنا لأنّ هذا الإعلام للمشركين المعاهدين وغيرهم، تقريرا لعدم غدر المسلمين، والآية المتقدّمة إعلام للمسلمين.

و عُطفَ «رسوله» بالرّفع، عند القرّاء كلّهم: لأنّه من عطف الجملة، لأنّ السّامع يعلم من الرّفع أنّ تقديره: ورسوله بريءٌ من المشركين، ففي هذا الرّفع معنى بليغ من الإيضاح للمعنى مع الإيجاز في اللّفظ وهذه نكتة قرآنية بليغة، وقد اهتدى لها ضابئ بن الحارث في قوله:

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص107.

و منيكُ أمس بالمدينة رحله فإنّي وقيّارٌ بها لغريب[1]

فالأصل هنا قول لغريبان.

برفع(قيار) لأنّه أراد أن يجعل عزبة جمله المسمّى (قيارا) عزبة أخرى تابعة لعزبته.

هذا البيت لضابئ بن الحارث البرجمي، من أبيات قالها وهو محبوس في سجن المدينة-زمن عثمان بن عفان-رضي الله عنه- لهجاء قاله في خصومه، ومطلع الأبيات:

دعاك الهوى والشوق لما ترنّمت هتوف الضحى بين الغصون طروب

يحاو بها الحمام لصوتها فكل لكلّ مسعد ومجيب.

وقوله: من يك، أصلها من يكن، حذفت النّون للتّخفيف.

ورحله:اسم أمسى، وبالمدينة حبرها. وجملة أمسى خير يك، والرجل المنزل، وما يحتاج إليه المسافر من الأثاث وقيّار:اسم حمل، أو فرس.

والشاهد بقوله:لغريب، خبر إنّ، وخبر:قيار محذوف، والتّقدير: فإنّي لغريب بها، وقيار كذلك.

-﴿ فإذا انسلخَ الأشهر الحُرُم فاقتُلوا المشركين حيث وجَدتُّموهم وخُذوهُم واحصُرُوهم واقعُدُوا لهُم كلّ مرصَد فإن تابوا وأقاموا الصّلاة وآتُوا الزّكاة فخلّوا سبيلهُم إنّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾(التوبة:05).

وانسلاخ الأشهر الحرم اقضاؤها وتمامها وهو مطاوع سلخ، وهو في الأصل استعارة من سلخ جلد الحيوان، أي إزالته ثم شاع هذا الإطلاق حتى صار حقيقة.

والحرم جمع حرام وهو سماعي لأنّه فُعُلا بضم الفاء والعين إنّما يُنقاس في الاسم الرّباعي ذي مد زائد، وحرام صفة، وقال الرضّي في باب الجمع من شرح الشّافية إنّ جموع التّكسير أكثرها محتاج إلى السّماع،

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص109.

وقد تقدّم عند قوله تعالى:«الشّهر الحرام بالشّهر الحرام»، سورة البقرة، وهي ذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم ورجب.

و الأمر في «فاقتلوا المشركين» للإذن والإباحة باعتبار كلّ واحد من المأمورات على حدّة، أي فقد أذن لكم في قتلهم، وفي أخذهم، وفي حصارهم، وفي منعهم من المرور بالأرض التي تحت حكم الإسلام، وقد يعرض الوجوب إذا ظهرت مصلحة عظيمة، ومن صور الوجوب ما يأتي في قوله «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنّوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر» والمقصود هنا: أنّ حرمة العهد قد زالت.

و القعود مجاز في الثّبات في المكان، والملازمة له، لأنّ القعود ثبوت شديد وطويل والمرصد مكان الرّصد، والرّصد: المراقبة وتتبع النّظر.

وانتصب «كلّ مرصد»، إمّا على المفعول به بتضمين«اقعدوا» معنى (الزموا) كقوله تعالى:«لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم»، وإمّا على التشبيه بالظّرف لأنّه من حقّ فعل القعود أن يتعدّى إليه ب(في) الظّرفية فشبّه بالظّرف وحذفت (في) للتّوسع.

وتقدّم ذكر (كلّ) عند قوله تعالى«وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها[1]»(الأنعام:25).

-﴿يا أيّها الذّين آمنوا إنّما المشركون نجَسٌ فلا يقربُوا المسجدَ الحرامَ بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يُغنيكم اللهُ من فضله إن شاء الله إنّ اللهَ عليمٌ حكيمٌ﴾(التوبة:28).

و«نجس»، صفة مشبهة، اسم للشّيء الذي النّجاسة صفة ملازمة له، وقد أنيط وصف النّجاسة بهم بصفة الإشراك، فعلمنا إنّها نجاسة معنويّة نفسانيّة وليست نجاسة ذاتية.

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص116.

والنّجاسة المعنويّة:هي اعتبار صاحب وصف الأوصاف محقّرا متجنبا من النّاس فلا يكون أهلا لفضل ما دام متلبسا بالصّفة التي جعلته كذلك، فالمشرك نجس لأجل عقيدة إشراكه، وقد يكون جسده نظيفا مطيّبا لا يستقذر، وقد يكون مع ذلك مستقذرّ الجسد ملطخا باختلاف عوائدهم وبيئتهم.

وإضافة«العام» إلى ضمير"هم" لمزيد اختصاصهم بحكم هائل في ذلك العام كقول أبي الطّيب:

فإن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى مصر في القابل[1]

وصيغة الحصر في قوله«إنّما المشركون نجس» لإفادة نفي التّردد في اعتبارهم نجسا، فهو للمبالغة في اتّصافهم بالنّجاسة حتى كأنّهم لا وصف لهم إلاّ النّجسيّة ووصف (العام) باسم الإشارة لزيادة تمييزه وبيانه.

وقوله«فلا يقربوا المسجد» ظاهره نهي للمشركين عن القرب من المسجد الحرام. ومواجهة المؤمنين بذلك تقتضي نهي المسلمين عن أن يقرب المشركون المسجد الحرام، جعل النّهي في صورة نهي المشركين عن ذلك مبالغة في نهي المؤمنين حين جُعلوا مُكلّفين بانكفاف المشركين عن الاقتراب من المسجد الحرام من باب قول العرب«لا أريّنك همنا» فليس النّهي للمشركين على ظاهره. [2]

-﴿ فإن تُبتُم فهو خير لكم وإن تولّيتُم فاعلموا أنّكم غيرُ مُعجزي الله وبشّر الّذين كفروا بعذاب أليم﴾(التوبة:3).

التفريع على جملة«أنّ الله بريء من المشركين»، وأريد بفعل (توليتم) معنى الاستمرار، أي إن دمتم على الله الشرك فاعلموا أنّكم غير مفلتين من قدرة الله، أي اعلموا أنّكم قد وقعتم في مكنة الله، وأوشكتم على العذاب.

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص159-160.
[2]المرجع نفسه، ص160-161.

وجملة«وبشر الذين كفروا بعذاب أليم»، معطوفة على جملة (وأذان من الله ورسوله) لما تتضمنه تلك الجملة من معنى الأمر، فكأنّه قيل:«فآذنوا الناس ببراءة الله ورسوله من المشركين، وبأن من تاب منهم فقد نجا ومن أعرض فقد أوشك على العذاب.

و(البشارة) أصلها الإخبار بما فيه مسرّة، وقد استعيرت هنا للإنذار، وهو الإخبار بما يسوء على طريقة التّهكم، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران«فبشّرهم بعذاب أليم».

والعذاب الأليم: هو عذاب القتل، والأسر، وفيء الأموال. [1]

في قوله«بآيات الله» باء التعويض: وشأنها أن تدخل على ما هو عوض يبذله مالكه لأخذ معوّض يملكه غيره.

والتعبير عن العوض المشترى باسم الذي شأنه أن يكون مبذولا لا مقتضى جار على طريق الاستعارة تشبيها لمنافع أهواءهم بالثمن المبذول فحصُل من فعل(اشتروا) ومن لفظ (ثمنا) استعارتان باعتبارين[2].

وجملة «فصدوا عن سبيله»، مفرعة على جملة «اشتروا بآيات الله» لأنّ إيثارهم البقاء على كفرهم يسبّب عليه أن يصدّوا الناس على اتّباع الإسلام، فمثّل حالهم بحال من يصدّ الناس عن السير في طريق تبلّغ إلى المقصود.

ومفعول(صدّوا) محذوف لقصد العموم، أي: صدّوا كل قاصد.

و جملة«إنّهم ساء ما كانوا يعملون»، ابتدائية أيضا فصلت عن التي قبلها ليظهر استقلالها بالأخبار، وأنّها لا ينبغي أن تعطف في الكلام، إذا العطف يجعل الجملة المعطوفة بمنزلة التكملة للمعطوفة عليها.

وافتتحت بحرف التأكيد للاهتمام بهذا الذم لهم.

و(ساء) من أفعال الذم، من باب بئس، "و ما كانوا يعملون" مخصوص بالذم.

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص110-111.

[2] المرجه نفسه، ص125.

-﴿ ويتُوبُ اللهُ على من يشاء واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾(التوبة:15).

جملة ابتدائية مستأنفة، لأنّه ابتداء كلام ليس ممّا يترتب على الأمر بالقتال، بل للذكر من لم يُقتَلوا، ولذلك جاء الفعل فيها مرفوعا فدّل هذا النظم على أنّها راجعة إلى قوم آخرين، وهم المشركون الذّين خانوا وغدروا، ولم يُقتلوا بل أسلموا من قبل هذا الأمر أو بعده.

والتذييل بجملة «واللهُ عليم حكيم» لإفادة أنّ الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم، وأنّه حكيم لا يأمر إلاّ بما فيه تحقيق الحكمة، فوجب على النّاس امتثال أوامره، وأنّه يقبل توبة من تاب إليه تكثيرا للصلاح. [1]

-﴿أم حَسبتُم أن تُتركوا ولما يعلم اللهُ الذّين جاهدُوا منكُم ولم يتّخذوا من دون الله ولا رَسُوله ولا المؤمنين وليجة واللهُ خبيرٌ بما تَعملُون﴾(التوبة:16).

(أم) منقطعة لإفادة الإضراب عن غرض من الكلام للانتقال إلى غرض آخر. والكلام بعد(أم) المنقطعة له حكم الاستفهام دائما، فقوله« حسبتم» في قوة «أحسبتم» ولاستفهام المقدّر إنكاري.

و حسبتم ظننتم، ومصدر حسب، بمعنى ظنّ الحسبان، بكسر الحاء، فأمّا مصدر حسب بمعنى أحصى العدد فهو بضم الحاء.

والترك افتقاد الشيء وتعدّه، أي: أن يترككم الله، فحُذف فاعل الترك لظهوره، ولا بدّ لفعل الترك من تعليقه بمتعلّق : من حال أو مجرور، يدلّ على الحالة التي يفارق فيها التارك متروكه، كقوله تعالى:«أحسب أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون». وحذف متعلّق (تتركوا) في الآية: لدلالة السياق عليه، أي: أن يتركوا دون جهاد، أي أن تتركوا في دعة بعد فتح مكة.

والمعنى: كيف تحسبون أن تتركوا، أي لا تحسبوا أن تتركوا دون جهاد لأعداء الله ورسوله. [1]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص137.

و جملة«و لما يعلم الله الذّين جاهدوا منكم» في موضع الحال من ضمير (تتركوا) أي لا تظنّوا أن تتركوا في حال عدم تعلّق علم الله بوقوع ابتدار المجاهدين للجهاد، وحصول تثاقل من تثاقلوا.

ممّا سبق نستنتج أنّ الطاهر ابن عاشور اعتمد في تفسيره لآيات سورة التوبة على المحسنات البيانية كالاستعارة والكناية والتّشبيه، وأدوات الاتساق والانسجام.

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص138.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي الأخير بعون الله تعالى وفضله، وصلنا إلى نهاية البحث، ورصدنا أهم النّتائج المتوصل إليها وهي كالآتي:

.-تعريفات الحجاج في المعاجم اللّغوية، تجمع على أنّه مرادف للجدل

.-تنوع تعريفات الحجاج لدى الباحثين والعلماء الغربيين والعرب القدامى منها والمحدثين

-الحجاج يحمل دلالات متنوعة ومختلفة مرتبطة عبر مساره التّاريخي، وله عدّة مرادفات منها:الجدل، البرهان، الحجة، فجميعها تهدف لغرض الإقناع والتّأثير.

.-تعدد أصناف وآليات الحجاج

-اعتماد ابن عاشور في تفسيره للقرآن الكريم عامة وسورة التوبة خصوصا على عدة أصناف الحجاج؛ كالمعاني اللّغوية، والشواهد النحوية والبلاغية.

.-اعتماده على التفسير بالمأثور، وذلك من خلال أقوال الرّسول (ص)، وأقوال الصّحابة

.-اعتماده على تفسير آيات السور على تفسير القرآن بالقرآن

.- استدلاله بالشّعر والأمثال العربيّة في تفسيره

-لقد ضمن تفسير ابن عاشور كثيرا من فنون العربيّة التي أظهرت إعجاز القرآن الكريم، فيعتبر تفسيره جملة تفسيرا بلاغيا ودلاليا.

-اعتمد ابن عاشور في تنويعه لأساليب وطرائق الحجاج حتى يجعل خطابه آلية تأثرا،وإقناعا، لأنّ توظيفه لآليات الحجاج المختلفة يكسب تفسيره أيضا قوة وبيانا.

-من روائع سورة التوبة، أنّها حرّمت المنافقين من الرّحمة في أول السورة إلاّ أنّها أعطت لجميع النّاس في آخر السورة رحمة مهداة. وهذا حجاج من نوع الترهيب والترغيب.

-عدم ابتداء سورة التوبة بالبسملة يبقى مسألة خلافية، ولعلها جزء من إعجاز القرآن

-سورة التوبة سورة وداع، وخير وداع في ديننا هو التوبة على كلّ النّاس، إذ بابها مفتوح لأهل ذلك الزمن، ولغيرهم من الأجيال اللاحقة.

-ليس العاصي والمذنب وحدهما هما المحتاجان إلى التوبة، ولكن حتى المؤمنين وخير الخلق محمد (ص) والمهاجرين والأنصار. فقد ذكر لهم موطن توبة في القرآن.

-باب التوبة مفتوح لجميع النّاس مهما تفاوتت درجة، وقربهم أو بعدهم عن الدّين.

-إنّ للتوبة في القرآن الكريم مكانة عظيمة، فقد أضفى عليها الله سبحانه وتعالى شرف ارتباطها بأسمائه الحسنى، وجعلها مطلع ذكر الصّفات الجليلة للمؤمنين.

-على الرّغم من أنّ سورة التوبة تضمنت التّهديد الشديد للكفار والمنافقين، والدّعوة الشديدة للمؤمنين إلى الدّفاع عن دينهم، لكنّها حرصت على إبقاء باب التوبة مفتوحا لجميع النّاس.

المصادر والمراجع

1)قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن الأثير، المثل السائر، ج2.
2. ابن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، د ط.
3. ابن منظور، لسان العرب، ط1، مجلد2، دار صابر، بيروت–لبنان، مادة(ح ج ج)، 1993.
4. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزّمخشري، أساس البلاغة، ط1، ج1، دار العلمية، بيروت–لبنان، 1998.
5. أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ت ح: عبد المجيد التركي، ط2، دار المغرب الإسلامي، 1987.
6. أبو بكر العزّاوي، الخطاب والحجاج.
7. أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ط1–1426هـ، 2006م.
8. أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ت:حنفي محمد الشريف، مكتبة الشباب، القاهرة، د ط، مصر.
9. أحمد صقر، منهج الإمام ابن عاشور في التّفسير"التحرير والتنوير"، دار المصرية، للنشر والتوزيع، ط1–1422هـ، 2001م.
10. الألوسي أبو الفضل شهاب الدّين، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسّبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الخامس، ط1–1415هـ، 1994م .
11. البخاري، الجامع الصحيح.

12. البخاري، الجامع الصحيح، تأليف شمس الدّين محمد بن ناصر الدين القيسي الدّمشقي، قرطبة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ت، ج2.
13. بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، دار الريان ،مجلد1، للتراث، القاهرة، 1407هـ، 1986م.
14. بوعافية محمد عبد الرّزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2018.
15. الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق عبد السلام، مكتبة الخانجي، ط5، ج1، القاهرة، مصر. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2013.
16. جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته، مطبعة Rive بتطوان، المملكة المغربية، ط1-2020م.
17. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة تونس، 1998.
18. حوّاس برّي، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنويرلمحمدالطاعر ابن عاشور.
19. الدّكتور محمد راتب النابلسي، تفسير النابلسي-تدبّر آيات الله في النّفس والكون والحياة، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، المجلدالخامس، ط1-1430هـ، 2017م.
20. زقرور نجمة، البنية الحجاجية في قصص الأنبياء.
21. سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث، تونس، 2009.
22. الشريف الجرجاني، التعريفات، 740-816هـ ،مكتبة القرآن.

23. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، منتديات سور الأزبكية، الإصدار الأول، 2008.

24. الطاهر ابن عاشور، تفسير التّحرير والتنوير، الدّار التونسية للنشر، الجزء10، تونس، 1984.

25. طه عبد الرّحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1998.

26. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداولية معرفية بآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007.

27. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت ع محمود محمد شاكر، د ط، دار المدني، جدّة.

28. عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحجاج الغربي، منوبة تونس، 1998.

29. عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من أرسطو إلى اليوم.

30. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1-2001.

31. علي الجنري، فن التّشبيه بلاغة. أدب. نقد، الجزء الأول، كلية دار العلوم، جامعة فؤاد الأول، ط1-1952، مكتبة النهضة، مصر، ص.

32. قعموسي عبد القادر، الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي المعاصر للبلاغة والسرد لمحمد ميشال.

33. محمد الطّاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النّفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط2-1421هـ، 2001م.

34. محمد الطاهر بن عاشور، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.

35. محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي.

36. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر العربي، بيروت، ط1- 1997.

37. محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار.

38. محمد بن صالح العثيمين، شرح الأربعين النّووية، د ط، دارالثّرية للنشر، المملكة العربيّة السعودية.

39. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة،

40. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية، دار الثقافة.

41. محمد علي الصابوني، صفوة التّفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، المجلد1، ط4- 1402هـ، 1981م.

42. يوسف بن أبي بكر بم محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.

43. المعجم العربي الحديث، لاروس.

2)الكتب المترجمة:

1. أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، مجلد1.

2. فليب برتون وجيل جوتبيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر:محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي، جدّة، السعودية، 2011.

3. وولترسيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1984.

3)المجلات:

1. جابلي عمر، نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالديكرو وأنسكومبر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، تصدرها جامعة محمد بوضياف في المسيلة، 2018.
2. شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، مجلّة التعليمية، المجلد5، العدد15سبتمبر2018م. أحمد أبو زيد، الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد4ماي 1991م.
3. هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، العدد05-2005م.
4. يمينة ثابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرّندي، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ع2-2006م.

5. أطروحات الماجستير والدكتوراه:

1. ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة السياسية لابن قتيبة، دراسة تداولية، أطروحة الدكتوراه، جامعة باتنة، 2009م.
2. حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لابن حيان التوحيدي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، تخصص لسانيات الخطاب، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

3. رانية جهاد اسماعيل الشوبكي، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، المعاني والبديع، الجامعة الإسلامية، غزّة، الدراسات العليا، كلية الأداب، قسم اللغة العربية، قدم هذا البحث استكمالا للحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية، 1430هـ، 2009م.

4. سهيلة بن عبد الحفيظ، الحجاج في زهديات أبي العتاهية، إشراف بوزيد ساسي هادف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة8ماي1945م، قالمة.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة. . . . . أ

الفصل الأول: **الحجاج ماهيته وأنواعه**

المبحث الأول: ماهية الحجاج وأنواعه. 4

تعريفات. 8

1-لمحة تاريخية عن الحجاج قديما وحديثا

1 – 1 - الحجاج في الدراسات اليونانية

1 – 2 - الحجاج عند السفسطائيين. 10

1-3-الحجاج عند أفلاطون. 12

1-4- الحجاج عند أرسطو. 15

2- الحجاج في الدراسات العربية القديمة

2-1- الحجاج عند الجاحظ. 17

2-2- الحجاج عند اسحاق بن وهب. 18

2-3- الحجاج عند السكاكي. 19

3- الحجاج في الدراسات الحديثة

3-1- الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه. 22

3-2 – الحجاج عند ديكرو. 25

3-1 - الحجاج عند مايير. 28

4 – الحجاج في الدراسات العربية الحديثة

4-1- الحجاج عند أبي بكر العزاوي. 29

4-2- الحجاج عند محمد العمري. 30

4-3 – الحجاج عند طه عبد الرحمن. 32

المبحث الثاني: **أصناف الحجاج وآلياته**

1 – أصناف الحجاج. 35

2 – أنواع الحجّة. 37

3 – آليات الحجاج:

3- 1- الآليات اللغوية

1- الاستفهام. 38

2- التكرار. 39

3- الشرط. 40

4- التوكيد

أ-التوكيد اللفظي. 41

ب-التوكيد المعنوي. 42

3- 2- الآليات البلاغية

1- الاستعارة. 43

2- التشبيه. 44

3- الكناية. 45

4- التمثيل. 47

الفصل الثاني: الحجاج وآلياته في تفسير سورة التوبة لابن عاشور

المبحث الأول: شخصية ابن عاشور ومنهجه في التفسير

1-مولده ونشأته. 49

2-شيوخه. 53

3-مؤلفاته

1- مؤلفاته في علوم الشريعة. 54

2- مؤلفاته في علوم العربية. 55

3- مؤلفات أخرى. 57

4-منهجه في التفسير

1- خطته في تفسير السور. 60

2- التفسير بالحديث النبوي. 62

3- المعاني اللغوية. 63

4- الشواهد النحوية. 64

5- الشواهد البلاغية. 65

6- الشواهد الشعرية وكلام العرب. 66

7- الشواهد بالأمثال العربية. 67

المبحث الثاني: التعريف بسورة التوبة

1-التسمية. 70

2-سبب عدم ابتداء السورة بالبسملة. 72

3-موضوعاتها. 74

المبحث الثالث: آليات الحجاج في تفسير السورة

1-الحجاج بالتاريخ. 77

2-الحجاج بالمنطق والجدل

أ- الحجاج بالمنطق. 81

ب- الحجاج بالجدل. 85

3-الحجاج باللغة. 93

الخاتمة. 96

المصادر والمراجع. 103

مُلخص:

يتناول هذا البحث آليات الحجاج الموظفة في تفسير القرآن عند الطّاهر ابن عاشور، سورة التوبة أنموذجا. لأنّ الحجاج كفكرة ليس جديدا، فقد يوظفه كل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة. وابن عاشور في تفسيره قد وظف نظريات الحجاج قدر ما استطاع، دون تحديد لتلك النظريات، كالتاريخ والبلاغة والنحو والمنطق والجدل، وبقدر ما يسمح به السياق القرآني، ليصل إلى الدلالة المتوخاة من الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الآليات اللّغوية، الآليات البلاغية، المنطق، الجدل.

Résumé :

Cette recherche essaye d'étudier les mécanismes d'argumentation utilisés par Ibn Achour dans l'interprétation du saint Coran sourat Taouba comme exempel. Cependant، ibn Achour a appliqué plusieurs mécaniques d'argumentation tel que l'histoire، la rhétorique، la grammaire، et la logique، et cela selon les contextes du discours coranique، pour atteindre la signification juste de ce discours.

Mots clés : argumentation، mécanismes linguistiques، rhétorique logique .